مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

السرديّة القيميّة العربيّة: الأمير شاعرًا وأبريبا مترجمًا

The Arabic value narrative: Emir as poet and Abribat as translator

د. نجاة الطاهر قرفال
guerfeell@hotmail.fr
جامعة قابس- تونس

تاريخ الإرسال: 2021/07/15 **تاريخ القبول: 2021/12/15**

الملخّـــص:

تسعى هذه المحاولة إلى مقاربة عيّنة من الخطاب الإبداعيّ المعلن لانتمائه إلى هويّات حضاريّة مفارقة، ومنظومات قيميّة مخصوصة، قصد المساهمة في إعادة صياغة المشهد الحضاريّ، ضمن رؤية مضادّة لأشكال الاستبداد لا سيّما المشاريع الغربيّة الثقافيّة. تتمثّل العيّنة في خطاب الأمير عبد القادر الجزائريّ الشعريّ الذي ارتحل إلى المركز تفكيكا له وتصحيحا لتمثّلاته لصورة التابع النمطيّة. وقد أقام بذلك أسس سرديّة قيميّة عربيّة تعدّ بديلا حضاريّا اكتشفه مستعرب مشتغل بالعربيّة لغة وأدبا وحضارة.، جول أبريبا (Abribat, Jules) عبر ترجمة رائيّة الأمير التي مطلعها:

يا عاذرًا لامرئٍ قد هـــام في الحضر *** وعذلًا لمحبّ البدو والقفـــر

الكلمات المفتاحية: شعر؛ ترجمة؛ سرديّة قيميّة؛ الأمير عبد القادر؛ أبريبا.

Abstract:

This attempt seeks to approach a model from creative discourse professed to belong to paradoxical civilized identities, specific value systems in order to contribute to the

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

reformulation of the cultural landscape within an anti-authoritarian vision especially Western cultural projects. The sample is the poetic speech of Emir Abdelkader Al-Jaza'iri which went to the center to dismantle it and correct his representations for the follower stereotype. Thus, he established the foundations of an Arab value narrative considered as a civilized alternative which discovered by an Arabist working in Arabic, language, literature and civilization, Abribat, Jules by translating the Prince's poem, which begins:

Oh who excused for someone who has been in attendance
And humiliated to the lovers of the Bedouins and the wilderness.

Keywords: Poetry; translation; value narrative; Emir Abdekader; Abribat.

المقدّمـــة

لا ينفكّ الخطاب الإبداعيّ، لا سيّما زمن العدوان والقهر والاستبداد، معلنا رفضه للسائد وتعاليه عليه. وذلك من خلال إعادة صياغته، ضمن رؤية مضادّة للغرب الاستعماريّ، ومن خلال تأكيد حضوره في هذا العالم وجها لوجه مع الآخر، ومن خلال إعلانه الانتماء إلى هويّات حضارية مفارقة، وتراثات مغايرة، ومنظومات قيميّة مخصوصة. بمثل هذا جاء خطابُ الأمير عبد القادر الشعريُّ الذي ارتحل إلى المركز وفي ثناياه مقوّمات تفكيك ذلك المركز والقضاء على هيمنته وتحيّزاته العرقيّة، ونسف آلياته القمعيّة، وتخييلاته الاستعلائيّة، وتمثّلاته لصورة التابع النمطيّة في خطاب المتبوع. كان ذلك من الأمير عبد القادر الجزائريّ (ت 1300هـــ/1883م) طموحًا يقيم أسس سرديّة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

قيميّة عربيّة تعدّ بديلا حضاريّا اكتشفه المستعرب[1] جول أبريبا ونقله إلى ثقافته المختلفة والمخالفة، ربّما. وذلك عبر ترجمة رائيّة الأمير التي مطلعها (من البسيط الكامل):

يا عاذرًا لامرئٍ قد هام في الحضر *** وعاذلًا لمحبّ البدو والقفر[2]

لن يكون البحث في هذا الشأن بدعا ولكن بدا النظر في مقاربة هذا العمل الترجميّ مهمّا في إثارة المبحث القيميّ وتأثيراته الممكنة عند رحيل النصّ الشعريّ، بجملة ما رصد من قيم، إلى الضفّة الأخرى، حيث الآخر المختلف. ولنا أن نقرّ، ها هنا، بالثمر المُجتنى، على وجه الافتراض المبدئيّ، من تعديد زوايا النظر في مسألة القيمة وتجديدها. ذلك أنّ زاوية النظر كلّما تغيّرت أنشأت المنظور إليه تنشئة مغايرة. وعسى، من ثمّ، أن يكون بناء نموذج قيميّ حضاريّ إنسانيّ يستعيده العربيّ ولا يستعديه الغربيّ. فيقلب له ظهر المجنّ.

تسعى ورقة البحث هذه إلى محاولة الإجابة عن أسئلة ثلاثة تفرّعت إليها جوانب البحث. تشترك الأسئلة في كونها تتكامل منهجيّا ومعرفيّا من خلال اختبار قيمة الطرح القيميّ في بلورة العلاقة بين الذات والآخر، وبعبارة أخرى، بين الشرق والغرب. وهذه الأسئلة، إلى ذلك، تتّفق في كونها توفّر أجوبة عن شبكات بحث متقاطعة متواشجة

[1]– المستعرب هو المنتمي إلى الاستعراب باعتباره حقلا معرفيّا مادّته العربيّة لغة وأدبا وحضارة، وهو النازع إلى الآخر العربيّ والراغب في استكناه وجوده ماضيا وحاضرا ومستقبلا واستكشاف ما لا يكتمل وجوده هو إلاّ به. انظر تفصيل القول في: قرفال، نجاة، **خطاب الاستعراب في تونس زمن الحماية: الخصائص والخلفيّات**، مجمع الأطرش، تونس، 2020 (المبحث الأوّل من الفصل الثاني من الباب الأوّل).

[2]– الأمير عبد القادر الجزائري، **الديوان**، تحقيق: العربي دحّو، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007م، ط3، صص50–51.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

متكاملة. منها الاجتماعيّ ومنها النفسيّ ومنها الحضاريّ. أمّا الأسئلة فهي: ما الإطار المعرفيّ الذي حفّ بهذا العمل الترجميّ؟ وما المحاميل القيميّة المضمّنة في رائيّة الأمير هذه، التي رحلت بواسطة الآخر وإليه عبر العمل الترجميّ؟ وهل يكون الأمير قد تمكّن من بناء سرديّة قيميّة عربيّة من خلال خطابه الشعريّ هذا؟

تتكوّن خطّة البحث، بناء على ما تقدّم من أسئلة، إضافة إلى المقدّمة والخاتمة، من فواصل ثلاثة: في الأوّل مقاربة الإطار المعرفيّ الحافّ بالعمل الترجميّ. وفي الثاني مقارنة محاميل النصّ القيميّة الذاتيّة والغيريّة. وفي الثالث مفاضلة بين الطرفين.

ما يمكن أن تفرزه عمليّة الاختبار التحليليّ لهذه الفواصل المعرفيّة افتراضا، هو التحقّق من أثر الطرح القيميّ الأميريّ في مراجعة السرديّة الاستعماريّة[1] من لدن النخبة الاستعرابيّة ذاتها. من المفيد هنا الإشارة هنا إلى أنّ السرديّة القيميّة هي تلك التي تنبني على منظومة قيميّة يحتجّ لها القائل، وبها يدحض السرديّات الكبرى[2] (Métarécit) (Master-narrative)، كما لو كانت شكلا من أشكال سرديّات الضدّ التي تحرّر الإنسان من تبعيّة تلك السرديّات الكبرى وهيمنتها المفروضة.

[1]– وهي إحدى السرديّات الكبرى. بل لعلّها أخطرها.

[2]– مصطلح السرديّات الكبرى موصول بمصطلح مابعد الحداثة الذي يرتبط تاريخ الترويج له، حسب أهل الاختصاص، بنشر جان فرنسوا ليوتار (Lyotard, Jean-François) (1924–1998) عام 1984، كتابه الموسوم ب**الوضع مابعد الحداثيّ** (Lyotard, 1984). في هذا الكتاب يحلّل ليوتار أزمة المعرفة في المجتمعات الغربيّة، وينتقد الحداثة وفكرة التنوير معلنا سقوط الإيدولوجيّات الكبرى: السرديّات الكبرى بعبارته هو. انظر: ليوتار، جان فرانسوا، **الوضع ما بعد الحداثيّ**، ترجمة: أحمد حسّان، دار شرقيّات، القاهرة، 1994، ط1، ص12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

إشكاليّة البحث، إذن، ما التجلّيات المعرفيّة البانية للسرديّة القيميّة العربيّة ممثّلة في طرح الأمير عبد القادر الجزائريّ من خلال عمل أبريبا الترجميّ الاستعرابيّ؟

أوّلا: المقاربـــة

ماذا نعني بالمقاربة؟ يمكن الإفادة من طرح هذا النوع من الأسئلة المبدئيّة حول مفهوم المقاربة. فهو يتيح إجابة من نوع: المقاربة هي منطلق نظريّ يساعد الباحث في الاقتراب من البحث. فهي طريقة، من جملة طرائق أخرى، يتعاطى بها الباحث مع موضوع بحثه لكونها ممثِّلةً لمجال تحليليّ يستهدف توسعة معرفيّة. وبهذا تكون المقاربة ذات مزايا واسمة للبحث العلميّ. وهذه المزايا كثيرة نتخيّر منها ما بدا لنا أهمّ وأوكد وأشمل. فهي تخوّل للباحث دراسة المسائل التجريديّة أو التجسيديّة أو كلتيهما معا. وهي، في حال تنويع المقاربات، تساهم في تكثيف المعرفة. وهي، كذلك، تدعم التركيز الفكريّ لدى الباحث على قدر دنوّه من مجاله البحثيّ وضبط مقاصده منه. وهي، إلى جانب ذلك، تمنح البحث مرونة مزدوجة، تتجلّى في مرحلة طرح الإشكالات ومرحلة السعي إلى العثور على حلول لها.

نحاول الاشتغال في مقاربة البحث من جهات ثلاث: جهة الشاعر من خلال التعرّف على شخصيّته بما يوفّر تعريفات وظيفيّة، وجهة المترجِم كذلك، وجهة النصّ في مرحلة ثالثة.

(1) **مقاربة الشاعر**: صاحب القصيدة المنتخبة هو عبد القادر بن محيي الدين الجزائريّ. لقّب بالأمير لأنّه بويع على الجهاد ضدّ الاحتلال الفرنسيّ. كان قائدا مجاهدا،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

وعالما شاعرا. ولد في القيطنة (من قرى وهران بالجزائر)[1] ومرّ في رحلته الحجّيّة رفقة أبيه بتونس وزار الشرق: المدينة المنوّرة ودمشق وبغداد. وعند دخول فرنسا الجزائر ومبايعة الجزائريّين له على الجهاد، رسم لوحات بطوليّة ظلّت رمزا لمنظومة القيم العربيّة الأصيلة الذي دام خمسة عشر عاما. أنشأ دولة"[2]. وصكّ النقود وبنى معامل الأسلحة والبارود ومتعلّقات الجند. خانه ملك المغرب. فاستسلم. ونفي إلى طولون، ثمّ أمبواز (Amboise) حيث زاره نابليون الثالث وسرّحه، مشترطا عليه عدم العودة إلى الجزائر. زار باريس والأستانة، واستقرّ في دمشق حيث توفّي. من أعماله: رسالة في العلوم والأخلاق، وديوان شعره وكتاب بثلاثة أجزاء في التصوّف: المواقف.

لسنا ها هنا بحاجة إلى الإطناب في التعريف بشخصيّة الأمير. لكنّنا بحاجة إلى استخلاص جملة من الإفادات ممّا تقدّم. تدلّ إمارته ومبايعته على اشتمال شخصيّته على فضائل ومحامد رشّحته إلى تلك المنزلة. ويدلّ ما ابتكره من تنظيمات تشدّ أود دولته الفتيّة، في ظرف استثنائيّ، على امتلاكه لقيم التحرّر من مساعدة الآخر، والتعويل على الذات والترفّع عن الأطماع. وأمّا اختياره سبيل الجهاد والكفاح ضدّ المحتلّ الفرنسيّ فيبرهن على اتّصافه بجملة الخصال الوطنيّة الدفاعيّة الحامية للأرض والعرض. وأمّا عناوين تآليفه فهي علامة على اشتغاله بمسائل فكريّة أخلاقيّة قيميّة مهمّة.

يمكن القول بشيء من الاطمئنان، إنّ صاحب القصيدة المنتخبة موسوم في جميع خياراته الفكريّة والنضاليّة، النظريّة والإجرائيّة برؤية قيميّة تحتفي بالذات الجزائريّة بل

[1]– للمزيد من التفصيل عن نشأته، انظر: قرفال، نجاة، **شخصيّة الأمير عبد القادر الجزائريّ في عيون المستعربين**، مجلّة تنوير للبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 11، سبتمبر 2019م، ص56.

[2]–Chaouati, Amel, **Les Algériennes du château d'Amboise**, La Cheminante, Paris, 2013, p. 12.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

العربيّة بل الإسلاميّة بل الإنسانيّة. وقد بلغ بأحد المستعربين أن وصفه وصفا يكاد يكون خارقا لكلّ مألوف[1] لفرط رقيّه البادي في قسماته ونظراته وحركاته حتّى ركوبه الخيل[2].

(2) **مقاربة المترجم**: أبريبا، جول برنار (Abribat, Jules Bernard) (1858–1931)[3]، مستعرب فرنسيّ ولد بالجزائر (البُلَيْدَة) عام 1858، متحصّل على بكالوريا آداب والإجازة في الحقوق، ومختصّ في الترجمة. وقد تدرّج في خطّة مترجم كما يلي: عام 1877: مترجم درجة ثانية، ثمّ مترجم درجة أولى عام 1880. وقد كان شارك ما بين عاميْ 1881 و1883 شارك في الحملة على تونس. ثمّ أصبح ضابطا مترجما في الجيش الإفريقيّ[4] حائزا على الدرجة الثانية من الاحتياط، ثمّ حاز على الدرجة الأولى في الرتبة ذاتها عام 1902. ومن ثمّ أصبح المترجم العدليّ بالمحكمة الفرنساويّة[5] عام 1911، ليكلّف[1]

[1]– راجع ما كتبه المستعرب ليون روش (Roches Léon) في: ج1 ص154.

Roches Léon,Trente-Deux Ans A Travers L'islam (1832-1864), T1, Paris, Librairie De Firmin-Didot Et Cie, Imprimerie L'institut, Rue Jacob, 56, 1884, p. 154.

[2]– وقد رسم تشرشل مشاهد بديعة من فروسيّته وهذا بعض ما قال: "كان يدفع الفرس إلى أكبر سرعة ممكنة ثمّ يترع قدميه من المهماز ويقف على السرج ويطلق النار على هدفه بدقّة عجيبة". انظر: تشرشل ، شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق : أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص40.

[3]–Chavanne, Le Capitaine, **Historique du Services des Affaires Indigènes de Tunisie (1881-1930)**, Bourg, Imprimerie Victor Berthod, 1931, T2, p. 243.

[4]– Lambert. Paul, **Dictionnaire illustré de la Tunisie : choses et gens de Tunisie**, C. Saliba Aîné, Editeur, librairie du Phénix, 17, avenue de France — Tunis, 1912, p. 2.

[5]– هو من أورد ذلك في **مجموع خطوط عربيّة تونسيّة**، صفحة الغلاف.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

بعد عام واحد بدروس في المدرسة العليا للغة والآداب العربيّة بتونس[2]. ألحق بكتيبة احتلال تونس خلال الحرب العالميّة الأولى (1914). وظفر عام 1917 برتبة ضابط مترجم أوّل.

ثمّ إنّه أُلحق ما بين عاميْ 1915 و1919 بالخدمة المركزيّة لشؤون الأهالي ومن ثمّ كان تسريحه، ليرسله المقيم العامّ ألابيتيت (Alapetite)، في العام نفسه، في مهمّة مع النقيب بوي (Boy) إلى القيروان وقفصة وصفاقس وسوسة عند الاضطرابات المعادية للساميّة. وكلّف بكتابة تقرير في الشأن. نال أوسمة عديدة. و"هو الآن (1931) محام... ونائب رئيس مفوّض لبلديّة تونس"[3] على حدّ عبارة شافان (Chavanne).

هذه المعلومات المتعلّقة باختصاص أبريا وتدرّجه في سلّم الوظيفة مترجما خادما للاحتلال الفرنسيّ، ذات أهمّيّة حقيقيّة. فمنها يمكن استجلاء دوافع اختيار قصيدة الأمير الجزائريّ لتكون عملا ترجميّا يظهر به في حقبة عصيبة من تاريخ تونس الحديث، ثلاثينات القرن العشرين، ثمّ يرتحل بمحاميلها المعرفيّة إلى نظرائه من المستعربين ومن هم من بني قومه. وذلك من خلال نشرها في المجلّة التونسيّة الناطقة بالفرنسيّة ولسان حال معهد قرطاج.

من تآليفه: **عطاء الله نجل القائد (فلكلور تونسيّ)**[4]، ومقال حول **العقود الدائمة التي أنشأتها مؤسّسة الحبس، ودراسات حول الحبس، وكتيّب حول الحسبة** (الشرطة)،

---

[1]– أورده في **نحو العربيّة المكتوبة الجديد**، صفحة الغلاف.

[2]–E.S.L.L.A.

[3]–Chavanne, Historique du Services, op. cit, T2, p. 245.

[4]– Abribat, Jules, **Atha Allah fils de caïd (Folklore tunisien),** Tunis , Impr. J. Aloccio, 1933.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

وبعض الملاحظات حول قواعد العيش في المجتمع الإسلاميّ الحسن[1]، **ونحو العربيّة المكتوبة الجديد** (بالاشتراك مع دلماس (Delmas))[2]، **ومجموعة مخطوطات عربيّة** (بالاشتراك مع ركلو جاك (Reclus, Jacques)[3]. ومن أعماله الترجميّة، ترجمته كتاب محمّد البشير التواتي: **مجموعة مفاهيم من الفقه الإسلاميّ**، أعمال توثيقيّة وقضائية وغير قضائية،[4]، وله، كذلك، مقالات مختلفة في المجلّة التونسيّة، منها هذا المتعلّق بترجمة قصيدة الأمير عبد القادر

يبدو التوجّه العامّ من خلال هذه الأعمال التأليفيّة متّجها نحو الجانب التأسيسيّ والتقنين الاجتماعيّ التونسيّ الخاضع لأحكام الفقه الإسلاميّ. يضاف إلى ذلك اهتمام باللغة العربيّة والمخطوط. وهذا من شأنه أن يساهم في تقريب الصورة التي سترسمها القصيدة المنتخبة في هذا البحث للحياة العربيّة البدويّة على وجه الخصوص. وهي في نهاية المطاف اختياره هو. فهو الذي نقلها من العربيّة إلى الفرنسيّة وأتاحها لمن لا يقرؤون بالعربيّة.

[1]– Abribat, Jules, **Quelques notes sur les règles de savoir vivre dans la bonne société musulmane**, Revue Tunisienne, A 13, 1906, N° 57, p. 200-208 et N° 58, p. 308-334.

[2]– Abribat, Jules, **Nouvelle Grammaire d'Arabe Écrit**, avec J. Reclus, Tunis, Société Anonyme de l'Imprimerie Rapide, 5, rue Saint-charles (dans son immeuble), 1912.

[3]– Abribat, Jules, **Recueil de Texres Arabes Manuscrits Tunisiens : Deuxième degré 1ère Série, Préparation au Diplôme Supérieur d'Arabe**, avec J. Reclus, Tunis, Librairie J. Danguin, 14, Avenue de France, 1911.

[4]– Muhammad al-Bachir Ettouati, **Recueil de notions de Droit musulman d'actes notariés, judiciaires et extrajudiciaires**, **trad**. Abribat Jules, Editeur Tunis: Imprimerie française, B. Borrel, rue de Naples, 1896.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

(3) **مقاربة النصّ**: بين النصّ الإبداعيّ والعمل الترجميّ مسافة مدّ وجزر كثيرا ما جعلت المستعرب يجدّف ضدّ التيّار. ويكاد يجمع أهل الاختصاص في هذا المجال أنّ المشتغل بالترجمة لا ينفكّ من أن يكون متأرجحا بين مقتضيات الترجمة وممكنات التمثّل.

وهذا المنجز الترجميّ المنتخب يمثّل عيّنة جيّدة لدراسة التحدّيات التي تواجه ترجمة الشعر[1]. ذلك أنّ الترجمة الأدبيّة، في مستوى الإجراء، فعل بالغ التعقيد. فما بالنا إذا كانت العيّنة الأدبيّة شعرا. إنّ الصعوبات التي تعترض المترجم تتنوّع وتتشابك حتّى إنّه يتعذّر عليه حلّها مفردة، ولاسيّما الإيقاع بمستوياته والصورة الشعريّة بمكوّناتها. إنّها نقلة ذات انزياحات لغويّة ودلاليّة، فنّيّة ومعرفيّة، ثقافيّة وحضاريّة. وهذا العمل يضجّ بانزياحات النصّ المترجم عن النصّ الأصل.

ولا خلاف، والحال تلك، في أنّ الترجمة الأدبيّة عمليّة إبداعيّة تبتدئ من حيث انتهى مبدع النصّ نصّه، وأنّها تقتضي، نظريّا، معرفة دقيقة باللغتين: المنقول منها والمنقول إليها. فهي بهذا خطاب جديد يتّجه إلى متلقّ آخر في سياق حضاريّ مختلف. لم يتفرّد أبريا بالكتابة حول الأمير والاحتفاء به. بل إنّ عدد الذين اهتمّوا بشخصيّته كُثْر[2]

[1]– إنّ اختبار تحدّيات الترجمة الشعريّة هذه من خلال هذه العيّنة الشعريّة: رائيّة الأمير عبد القادر الجزائريّ عمل ينتظر الإنجاز.

[2]– وقد تنوّعت اهتماماتهم به ما بين كتابة لسيرته وترجمة لشخصه وتخصيص صفحة له في كتاب الجزائر الذهبيّ والاستشهاد بأقواله ومدح قدراته الحربيّة وتنظيماته العسكريّة ومنظومته القيميّة... الخ. نذكر من بينهم:

* Bellemare, Alex, ***Abd-el-Kader sa vie politique et militaire***, Paris, Librairie de L. Hachette et Cie, Boulevard Saint-Germain, N° 77, 1863.

* Daumas, Eugène, ***Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara (1837-1839)***, Alger, Imprimeur-Libraire De L'université dance Place Du Gouvernement général de l'Algérie, 1912.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

ورغم أنّ "أصل الأمير حضريّ، فهو من القيطنة إحدى مدن وهران، فإنّه قد احتجّ للبداوة في "قطعة شعريّة جميلة"[1] تقدّم ذكر مطلعها. وهي رائيّته التي ترجمها المستعرب جول أبريا (Abribat, Jules) (1858–1931). يقول أبريا في مناسبة نشأة هذا النصّ الشعريّ: "وقد كان أعدّها ردّا على سؤال وجّهه إليه بعض علماء فرنسا وأدبائها... في قصر أمبواز: أيّهما أفضل: البداوة أم الحضارة؟...جوابا لفرنسيِّيْن احتكما لديه"[2]. جاء في ركن سوق الأدب من جريدة الحاضرة إخبار بصدور ديوان الأمير" طبع في هذه الأيّام ديوان الأمير الخطير..." تلاه تثمين لقصيدة البداوة "وقد جاءت فيه قصيدة وصف بها... البداوة وصفا بليغا عاريا من التكلّف"[3]، أعقبه بيانٌ في

* Depont, Octave et Coppolani. Xavier, ***Les confréries religieuses musulmanes***, publié sous le patronage de M. Jules Cambon, Alger, A. Jourdan : Imprimeur- Libraire- Éditeur, 4 place du gouvernement, 1897.
* Emerit, Marcel, ***La lutte entre les généraux et les prêtres aux débuts de l'Algerie Française***, Revue Africaine, volume 97, 1953, pp. 66-97.
* Faucon, Narcisse.(1889). ***Le livre d'or de l'Algérie : histoire politique, militaire, administrative, événements et faits principaux***, Paris, Challamel et C^{ie}, éditeurs, Librairie Algérienne et Coloniale.
* Roches Léon, ***Trente-Deux Ans A Travers L'islam (1832-1864)***, Tome 1 et 2, Paris, Librairie De Firmin-Didot Et Cie, Imprimerie L'institut, Rue Jacob, 56.
* Yver, Georges, ***Abdelkader et le Maroc en 1838***, Revue Africaine, n^{o} 60, 1919, pp. 93-111.

[1]– Abribat, Jules, **Un morceau de poésie d'Abdelkader : Le séjour des villes est-il préférable à la vie nomade ?**, Revue Tunisienne, 7^{è} Année, N^{o} 26, Avril, 1900, p. 181.

[2]– Idem.

[3]– انظر: الحاضرة، عدد 561، 22 أوت 1899، ص1. (لا كما أثبت أبريا في آخر مقاله: 15 أوت 1899)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

مناسبة نظمها "وسبب نظمها أنّ الأمير لّما كان في فرنسا بعث إليه أحد أكابر الفرنسيس يقول إنه قد وقع بيننا اختلاف هل الحضر أفضل أم البدو؟ واتّفقنا على تحكيمك لأنّك اختبرتهما. فأجابهم... بهذه القصيدة الرّنانة التي نثبتها لينسج شعراء هذا العصر على منوالها ويطرحوا وصف القدّ والعين والخال التي مجّتها الآذان وتجافى عن سماعها كلّ إنسان"[1]. ولا يفوت المتلقّي هنا غاية الحاضرة من إيرادها. وهي غاية ذوقيّة قيميّة حضاريّة: أن يتأسّى بها شعراء العصر ويتخلّصوا من اهتماماتهم الشعريّة الممجوجة.

وقيل جاء الطلب بُعيد مناظرة دارت بين مثقّفين فرنسيّين حول المفاضلة بين العيش في البدو والعيش في الحضر. وقد يكون ذلك مجرّد ادّعاء القصدُ منه استدراج الأمير عبد القادر الجزائريّ لقول شعر في مسألة تهمّه بشكل مباشر وتثير فيه الشجون. وأيّا كانت أسباب نشأة هذا النصّ الشعريّ تحديدا، فإنّ الأهمّ من ذلك هو وجوده بين دفّتيْ ديوان الأمير. ونختزل ما جمعه في هذه الرائيّة من قيم، ريثما يرد التفصيل لاحقا. تحدّث بضمير "نحن"، وهو يعدد الفضائل البدويّة ضمن مشاهد تصوريّة بديعة: الصيد والرحيل والفروسيّة والموسيقى والنقل والعقل والإبل والخيمة والإغاثة والملك والتسامح والكرم والثروة والصحة وطول العمر"[2].

شاء الكاتب أن يضمّن القصيدة في بداياتها جملة مفاتيح تخصّ سياق القصيدة الخاصّ الذي من شأنه أن يمكّن المتلقّي من أن يجد موضع قدم داخل المناظرة المفترضة. والملاحظ أنّ هناك تكثيفا لغويّا جليّا يرسم حركة تنفلت من سياق المناظرة العامّ المولّد للنصّ إلى سياق خاصّ جماليّ قيميّ يغذّي الجدل بين طرفيْ المناظرة.

---

[1]– م. ن، ص. ن.

[2]– قرفال، نجاة، **شخصيّة الأمير عبد القادر الجزائريّ في عيون المستعربين**، مجلّة تنوير للبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 11، سبتمبر 2019م، ص56.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

تمّت عمليّة ترحيل الطرح الأميريّ من تناظر بين مثقّفيْن فرنسيّيْن مجهولين إلى احتجاج ذاتٍ شرقيّة مفردة منتصرة للبداوة تتصدّى لجمع غربيّ منتصر ضدّها. كأنّما الشاعر يسجّل نقلة من خصومة إلى حكومة. إذ يحاكم المواقف مرافعا على قضيّة يراها عادلة، منتصرا لها. إنّه موقف قيميّ جماليّ فيه دفاع عن المبدإ والمرجع والأصول.

لقد كان ترحيل الطرح الأميريّ مكانا وزمانا وأحوالا. أمّا الترحيل المكانيّ فكان من مدينة أمبواز الفرنسيّة الأوروبيّة الغربيّة التي هي يومها مكان نفي الأمير وسجنه، إلى الصحراء العربيّة الشرقيّة التي لا يحدّها البصر. إنّه ترحيل من ضيق المحبس إلى رحابة المرجع. وأمّا الترحيل الزمانيّ فكان من زمن النفي وما يشمله من قيود وضوابط إلى حيث الإطلاق في الزمان وامتداده لا سيّما وقد ابتدأه بالبكور. وأمّا الترحيل في مستوى أحوال الإنسان فكان من حال النفي والسجن والاغتراب والذلّ والمهانة إلى حال التحرّر في الحركة وتسريح النظر والاستمراء بالحياة من خلال مشاهد الصيد ومتعلّقاتها، خاصّة.

ثانيا: المقارنـــة

لّما كان المرء مسكونا بهاجس المقارنة كان توسّلها إيّاه منهجا يصاحب كلّ مراحل النظر والدرس والتفكير. ولا عجب في ذلك فهي من مبادئ التفكير القديمة. ألم يلجأ إليها وسيلةً لإجراء المحاورات كلّ من أفلاطون (ت347 ق.م) وأرسطو (322 ق.م). ورغم أنّ منهج المقارنة أعلق بالدراسات القانونيّة والاجتماعيّة، فإنّ أهمّيّته تظلّ قائمة في كلّ مجال بحثيّ لِما يتيحه من الدقّة والتعمّق وكشف النقائص واقتناص أوجه التماثل أو التفارق بين مادّة الدرس ذات القطبين أو أكثر. نجري المقارنة، هنا، من خلال النظر في مشروعين حضاريّين ضديدين تقصّيا للمشغل القيميّ عندهما: الأوّل يمثّله الأمير ومن يحمل لواء الدفاع عنهم. والثاني يمثّله المستعرب أبريا ومن ينطق بلسانهم من بني

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

قومه. لن نسلك، المقارنة الطريقة الأفقيّة خشية الوقوع في التكرار. وإنّما سبيلنا هنا المقارنة الرأسيّة التي تتناول بالدرس كلّ جزئيّة في كلتا الظاهرتين دفعة واحدة. ومن ثمّ يكون تعليل التماثل أو التفارق بين الظاهرتين.

(1) **مقارنة عامّة:** ثمّة انتصار للبداوة التي شكّلت قيم العربيّ الخَلقية والخُلقية ونسجت خصاله الظاهرة والباطنة. يكتسب إطارُ النصّ العامُّ قيمته ويكتسي فاعليّته من هذا الطرح الحضاريّ الذي تتقابل فيه حضارتان: حضارة شرقيّة ستنكشف معالمها كلّما تقدّمنا في النصّ واتقصينا منا بين ثناياه وسبرنا أغواره، وحضارة أخرى غربيّة أوروبيّة فرنسيّة قد يوفّر النصّ بعض معالمها تصريحا أو يدرك ذلك تلميحا من خلال الاستدلال بالخُلف.

فالمسألة إذن، بعيدة عن أن تكون مسألة بادية وحاضرة، أو بدو وحضر، وبينهما اختلاف. وهذا الذي يتوهّمه المتلقّي في قراءة النصّ قراءة غير متأنّية. أمّا الحفر في النصّ وربط العلاقات الدلاليّة فيصل بمتلقّي النصّ إلى سرديّة مخصوصة قوامها الصراع بين حضارتين، بينهما فارق جماليّ ظاهر وآخر سياسيّ خفيّ لا يدركان بغير دراسة الخطاب دراسة تحليليّة نتعاطى معها وفق ما يسمح به حيّز البحث.

أ– الزمان: إذا كانت مقولة الزمن، عند أهل الاختصاص، تدخل في مجال البحث الفلسفيّ، فإنّ حقولا معرفيّة شتّى تتنازعها اليوم، بما في ذلك دراسات النقد الحديثة. وقد اعتبرت هذه المقولة إحدى أهمّ إشكاليّات التفكير البشريّ في الدراسات القديمة والحديثة على حدّ سواء. ولئن كان التوجّه في دراساتها ينحو نحو ضبط مفاهيم زمنيّة مثل الترتيب والتواتر والمدّة، فإنّها، أي مقولة الزمن، تظلّ مستعصية على التحديد. ذلك أنّ الزمن لا ينفكّ عن صلته بالإنسان وأحواله المختلفة. وما يسمّى بالزمن النفسيّ الذي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

يعتبر بعضا من ذلك ينبع من الإنسان ذاته. يصبح الزمن إذّاك إحدى خاصّيّات الإنسان التقديريّة. وتلك هي نسبيّة الزمن المتأثّرة بالإنسان والمؤثّرة فيه.

ومن هنا يمكننا القول: إنّ بين مقولة الزمن ومقولة القيم صلات وأبعادا. ففي مجال الشعر مثلا، وهو مدار اهتمامنا هنا، يتوسّل الشاعر للتعبير عن تصوّراته ومثله التصويرَ التخييليّ تمرّدا على الزمان وتحويلا لوجهته وتحدّيا له.

والذي يقبل التسجيل في قصيدة الأمير المنتخبة هنا هو ضرب من المرواحة بين زمن الحرّيّة وزمن القيد، زمن السيادة وزمن الاستعباد. ولا يكون هذا الزمن، في فترة الاحتلال، بسبب وطأته النفسيّة، إلّا ضيقا وثقلا. وقد أخبر الأمير عن ذلك البعد الزمنيّ من خلال تصويره ممتدّا من البكور (البيت العاشر) إلى الصبح (البيتان الرابع والسابع) إلى الأصيل(البيت) إلى العشيّ (البيت الثاني والعشرون) إلى الليل(الأبيات السابع والسابع عشر والتاسع عشر والسادس والعشرون) إلى السحر (البيت الثاني والعشرون)، في شيء من التعويض النفسيّ يصل حدّ اتّحاد الأضداد. فيصبح الزمن واحدا أوّله وآخره يتعالقان أو يتعانقان. يقول في البيت السابع مخاطبا متخيّرا زمن نزول القطر الذي قد يكون ذهب بضياء النهار لفرط ما أثقل به من الغمام:

أو كنت في صبح ليل هاج هاتنه ***

هناك أيضا رصد لزمن مقتضب جدّا يقابل الامتداد السابق عبّر عنه ب"آونة". وهذا صدر البيت الثاني والثلاثين:

أموال أعدائنا في كلّ آونة ***

وخلافه في امتداد الزمن عبّرت عنه كلمة "مدى" في قوله من البيت الأخير:

من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى ***

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

يمكن أن نمثّل لبعض مواضع حضور المؤشّر الزمنيّ وما ينوب عنه من ألفاظ دالّة ببعض الأبيات. يقول في البكور:

نباكرُ الصيد أحيانا فنبغته *** فالصيد منّا مدى الأوقات في ذعر

بل هو زمن قوّة الحركة الممثّلة في الركض والمطاردة:

ونحن فوقَ جياد الخيل نركضها *** شليلها زينة الأكفال والخصر

نطارد الوحش والغزلان نلحقها *** على البعاد وما تنجو من الضمر

وهو زمن الحركة الدؤوب والرحيل المحقّق لتجديد الحياة رفضا للجمود:

يوم الرحيل إذا شدّت هوادجنا *** شقائق عمّها مزنٌ من المـــطر

وهو زمن السرعة التي لا يمكن تقديرها بنسق معيّن إلّا من خلال اختبار بعض ما يمتلك البدويّ من المهاري الفائقة السرعة. قال في صدر بيت:

لنا المهارى وما للريم سرعتها ***

وقال في عجز البيت الثلاثين تأكيدا لبعض ثمار السرعة التي تضمنها له العاديات وهي الخيل.

*** وعندنا عاديات السبق والظفر

وهو إلى جانب كلّ ذلك التكثيف الحركيّ زمن التوقّف المفعم بالراحة النفسيّة:

فيا لها وقفة لم تبق من حزن *** في قلب مضنى ولا كدّا لذي ضجر

بهذه الضروب من استحضار الزمن في نصّ الأمير هذا تمكّن الشاعر من إجراء تحويل نفسيّ: من زمن ضيق محبس الفرد، على حدّ عبارة محمود المسعدي إلى أزمنة بعيدة المدى شديدة التنوّع. وبذلك يكون الزمن أحد العناصر الخادمة للمقارنة بين رؤية المخاطِب للوجود وتمييزها من رؤية المخاطَب له.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

ب– المكان: المكان صنو الزمان. والصلة بينهما لا تنقضي. فلئن كانت الموجودات محكومة بزمن تحضر فيه فإنّها تقتضي فضاء تتحيّز فيه بمختلف أبعادها. وقد خرج المكان في النصّ عن كلّ أنواع التعيين. فلم يذكر أي اسم مكان ممّا اتّصل بإنتاج النصّ مثل الجزائر أو فرنسا أو أمبواز.

وقد استعاض الشاعر عن ذلك بإدراج جملة من الثنائيّات التي اقتضتها مقارنته بين البدو والحضر. إنّ المتأمّل في هذا النصّ الشعريّ يّ بإمكانه الوقوف على جملة من هذه الثنائيّات التي حضر وفقها المكان. وهي ثنائيّات تحكي إحساس الشاعر بالمكان وتقديراته له تعميما وتخصيصا، قربا وبعدا، زخرفة وعطلا، علوّا وانخفاضا، امتدادا واقتضابا، وتعريفا وتنكيرا. ولا يخفى علينا ما في اعتماد الثنائيّات من دلالة على رغبة الشاعر في محاصرة المكان في كلّ أحواله وأشكاله. فإذا قرئ هذا في زمنه عُلم ما في باطن الشاعر من رغبة في تحدّي جدران السجن وكسر حدودها والانطلاق بعيدا عنها في فضاءات شديدة التنوّع والتلوّن. وإذا ما دُرس هذا في إطار المقارنة بين الذات الأميريّة السجينة عَرَضا المتحرّرة جوهرا، في مقابل غيريّة الفرنسيّ السجّان الحرّ في ظاهره والمقيّد في باطنه بقيود استعباد الآخر والاعتداء على خصوصيّاته، إذا ما دُرس هذا وأخذ بعين الاعتبار عُلم ما بين الطرفين من فوارق جليّة، وتقرّر تفوّق السجين على السجّان. وهذا بعض تمثيل لذلك:

* من علامات تعميم المكان وتخصيصه قوله في ثنائيّة الحضر والبدو:

يا عاذراً لامرئ قد هام في الحضر *** وعاذلاً لمحبّ البـــدو والقفر

* من مواضع التعبير عن القرب والبعد في المكان ما جاء في البيتين التاليْن:

نطارد الوحش والغزلان نلحقها *** على البعاد وما تنجو من الضمر

نروح للحيّ ليلا بعدما نزلوا *** منازلاً ما بها لطخٌ من الوضر

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

* من أمثلة التعبير عن زخرفة المكان وعطله قوله في الصحراء رغم تجميل صورته، ومن بعدها الروضة:

أو كنتَ أصبحت في الصحراء مرتقيًا *** بساط رملٍ به الحصباء كالدرر

أو جلتَ في روضةٍ قد راق منظرها *** بكل لونٍ جميل شيّق عطر

* من الأماكن المعبّرة عن العلوّ والانخفاض ما ورد في جملة من الأبيات. فقد ذكر ارتقاء المكان في البيت الرابع ثمّ المرقب في البيت السابع وفي البيت الحادي عشر عبّر عن الارتفاع بكلمة الجوّ لتوسّل ظرف المكان "فوق" في البيت الخامس عشر. ثمّ ذكر السماء في البيت التاسع عشر. وجميع ذلك يرد في مقابلة مع البيوت والمنازل والتراب ولا سيّما الأرض. يقول مسطّرا ملحمة أخلاقيّة لا تغاير مبدأ المحتلّين في اغتصاب الأرض، فحسب، وإنّما خلوّ النفس من الحقد على أهل الجور:

لا نحمل الضيم ممن جار نتركه *** وأرضه وجميع العزّ في السفر

* امتدادا واقتضابا: نمثّل لهذه الثنائيّة الواسمة للمكان بالمفردتين التاليتين: بساط ومرتقب. والملاحظ أنّ الامتداد غالب على المكان. فأكثر المؤشّرات المكانيّة تحيل على الفضاء الممتدّ مثل الأرض والسماء والصحراء والبرّ والبحر والقفر. ثمّ إنّ هذه الثنائيّة متّصلة بأخرى لما بينهما من دلالة الضيق والاتّساع أو الانغلاق والانفتاح. فالمفردات الآنفة الذكر تتقابل من جهة هذه الخاصّيّة مع البيوت والمنازل وحتّى الخيام رغم أنّ الاتّصال بينها والفضاء الخارجيّ يظلّ قائما لا سيّما الانفتاح على الأفق والسماء.

* تعريفا وتنكيرا: ما يسعفنا به النظر في النصّ هو غلبة تعريف المكان على تنكيره. كما لو كان الشاعر عليما به. وقد جاء التعريف بطرق مختلفة. منها ما كان بالإضافة مثل بسائطها وترابها وأرضه. ومنها ما تحقّق بألف ولام التعريف مثل الجوّ والخيام والسماء والبعاد والبرّ والبحر. ومنها ما عاد إلى اللفظ في طبيعته مثل الظرف

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

"فوق". وأمّا التنكير فقد لحق مفردات بعضها مفرد وبعضها جمع: بساط ومرتقب وبيت وبيوت ومنازل. بدا أنّ هذه الألفاظ النكرة أدلّ على الكلّيّ المشترك الذي لا يمثّل خصوصيّة عند البدويّ بخلاف الخيام وما تنفتح عليه من فضاءات تتيح الحياة في البادية الاستمتاع بها. وأمّا لفظ الحضر فإنّ التعريف فيه مهمّ لتكون المقابلة بينه وبين البدو تامّة عادلة لا تحامل فيها. فالإقصاء بالخصائص والفضائل لا التنكير.

عبّر الشاعر من خلال توظيف المكان توظيفا منوّعا مكثّفا للتعبير عن رحابة لا تعترف بل تشكّل رمزيّة الاتّساع والانطلاق والكمال[1].

(2) **مقارنة خاصّة:** وما هذا الضرب من المقارنات سوى طريقة أنفذ إلى النصّ وأوغل في ثناياه وأدقّ في استخراج معانيه الثاوية فيه. سيكون التركيز هنا، لبسط المقارنة، على ما يمكن تسميته بلعبة الضمائر. هناك احتفاء بالضمائر خاصّ. نسعى في هذا الموضع من البحث إلى التعرّف على مواضعها والمواضيع التي وردت فيها والأشكال التركيبيّة التي ظهرت فيها، وكذلك العلاقات التي ربطت بعضها ببعض. ولكن لا بدّ هنا من إشارتين. نشير في الأولى إلى أنّ هذا التناول سيكون، طلبا للوضوح المنهجيّ وتفاديا للتكرار، الحضور والغياب، بدءا بالمخاطِب، وانتهاء بالغائب، ومرورا بالمخاطَب. وفي كلّ ذلك نتقصّى حالة الإفراد والجمع. ونشير في الثانية إلى أنّ النظر في الضمائر ليس سوى سبيل لاستخلاص منظومة القيم التي ينافح عنها الأمير بنصّه الشعريّ هذا.

أ– المخاطِب: مفردا وجمعا:

* أنا: ما يثير الانتباه في النصّ عند النظر في الضمائر أنّ ضمير المتكلّم المفرد "أنا" لم يسجّل حضورا في غير مرّة يتيمة. وهذا يسمح باستنتاج يخصّ الانتصار للقيم

[1]– لهذا صلة بتوجّه الأمير الصوفيّ. لا نتوسّع في هذا لكونه يفيض عن أهداف ورقة البحث هذه.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

الجماعيّة بدلا من الفرديّة. وكانت محلّ مفعوليّة، وفي مدار شرطيّ يمتنع فيه التماس العذر لامتناع العلم. نكتفي بذكر صدر البيت:

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرنـــي***

* نحن: ومن ثمّ تنسحب الذات المفردة انسحابا كلّيّا لتترك محلّها لصوت الجماعة "نحن" في ما يشبه نكران الذات والبروز الفردانيّ. فالجماعة مقدّمة على الفرد وإيثارها بالحضور أوجب. تواتر هذا الضمير، بمختلف أشكال حضوره، بشكل لافت في ما يقارب الثلاثين مرّة. من أشكال الحضور:

– الضمير المنفصل: في ثلاث مناسبات: "ونحن" (ب15)، "نحن" (ب26)، "فنحن" (ب35): اثنتان في صدارة البيت وثالثة في صدارة عجز البيت الأخير. وأمّا القيم المتعلّقة بهذا الضمير المحتفى به فهي: اقتدار الفروسيّة وهيبة الملوك والفخر بطول العمر الذي هو نتيجة عيش البادية الصحّيّ النقيّ.

– الضمير المتّصل: وكان في نوعين من التراكيب الجزئيّة: تركب جرّ ومثاله: منّا/لنا/بنا مرّتين، وتركيب إضافة ومثاله: هوادجنا/أنعامنا/طارقنا/ عدوّنا/أموال أعدائنا/ عندنا. تنبثق عن هذه المركّبات مجموعة من القيم الأثيرة مثل: الفخر بالمهابة والتفرّد ونجدة والإغاثة وصفاء السريرة وتجاوز الإساءة وكذلك الفخر بامتلاك المهاري والعاديات، وهي الخيل المروّضة للسباق وكذلك الكرم والعدل.

– الإسناد الفعليّ: وهذه جملة الأفال التي تعنينا هنا نوردها على التوالي: نباكرُ/ فنبغته/ ظلمنا/ نركضها/ نطارد/ نلحقها/ نروح/نلقى/ نلنا/لا نحمل/نتركه/نبين/نبيت/ نقضي. ليس من اليسير ضبط جميع القيم التي حوتها هذه الأفعال التي أسندت فيها الفاعليّة للذات الجماعيّة المتكلّمة في النصّ. ولكن نذكر بعضها تباعا: العزيمة والفطنة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

والمهارة والتحدّي والقوّة والإرادة وإيثار البهجة ومراجعة الذات والحلم والتسامح... الخ.

ب– المخاطَب: لم يوجّه الشاعر الكلام إلى مخاطب جمع. وإنّما اقتصر على المخاطب المفرد المذكّر "أنت". وهو اختيار معقول لأنّ تلقّي النصّ يعوّل على القارئ المفرد الذي بتدبّره للنصّ وإعماله الذهن في الطرح والحجج يمكنه بلوغ درجة الاقتناع. بل يمكنه أن يتجاوزها إلى خطوة أخرى متقدّمة تتمثّل في إقناع الآخر بها. وما ترجمة أبريبا لهذا النصّ سوى محاولة منه لترحيل هذه المنظومة القيميّة المكثّفة الواسمة لثقافة غير ثقافته، إلى الذائقة الأوروبيّة.

نسجّل، كذلك، غيابا كلّيّا لتوظيف ضمير "أنت" منفصلا. فقد جاء، إضافة إلى مواضع الإسناد الفعليّ، في إسناد الاسميّ، في شكل ضمير متّصل. ينبغي أن نذكّر بأنّ القصيدة برمّتها رسالة موجّهة إلى هذا المخاطب المفرد. فالاستهلال القائم على النداء صدرا وعجزا كفيل بتعديل بوصلة الخطاب ناحية هذا المخاطب الذي بدا من الوهلة الأولى في موضع نقد بل انتقاد لسوء ما اقترفه من عذر من لا عذر له وعذل من لم يأت من الفعل ما يستحقّ اللوم.

يوظّف الشاعر في مخاطبته المتلقّي الإنشاء والخبر. غير أنّ الأسلوب الخبريّ كان المهيمن. أمّا الإنشاء فطلبيّ: نهي(لا تذممنّ/ لا تعدل)، وأمر(بشّره). وكفى بهذا الأسلوب الطلبيّ دليلا على حاجة المخاطب إلى التوجيه بترك ذمّ ما لا يعرف نقائصه ومدح ما يستقيم مدحه. بدا المخاطب غير عارف بمعايير التقدير مدحا وذمّا. وأمره بأن يسلك مسلك التبشير بما بإغاثة المستغيث. وذاك من باب الفخر بخصلة الفروسيّة الموظّفة في النجدة، وطلب الإعلام بتلك الخصلة ونشرها. أمّا الأسلوب الخبريّ فنميّز فيه بين الخبر الآنيّ الذي لم ينقض بعد والخبر المنقضي. من الأوّل نذكر: (تمدحنّ/تعلم/تعذرني/

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

تستنشفنّ/ تخل) مع ملاحظة أنّ بعضها ورد في موضع الشرط الممتنع، كما تقدّم. ومن الثاني نذكر: (جهلت/أصبحت/أو جلت/علوت/جلت/رأيت). وخلاصة ما وجّه من خطاب مداره القيميّ على التسرّع في الأحكام والجهل بحقائق الأمور، هذا من جهة، والترغيب في التأمّل الذهنيّ والبصريّ وطلب المتعة واستجلاب البهجة وتقصّي الجمال في الطبيعة.

ومن الإسناد الاسميّ ما جاء في صياغة شرطيّة (لو كنت// أو كنت//أو كنت) دالّة على امتناع وقوع الحدثين. وبالعودة إلى النصّ نتبيّن حرص الشاعر على تصوير المتقبّل وقد ضاق أفق التفكير عنده حتّى استحال واقعا في الخطإ والخلط إن لم نقل المغالطة[1]. وحين يكون هذا المخاطب من أهل الحضر يكون الشاعر قد فنّد أطروحة خصمه من داخلها.

ج– الغائب: مفردا وجمعا، مؤنّثا ومذكّرا. في النصّ ضمائر غيبة أربعة: هو–هي–هم–هنّ. وقد توزّعت أدوارها في التأشير على القيم الأصيلة كما يلي:

* هو: حضر ضمير الغيبة مفردا(هو/هي) وجمعا (هم/هنّ). وقد بدا ضمير الغائب المفرد في صلة ثابتة مع المتكلّم الجمع "نحن". والشواهد في ذلك كثيرة، مثل "ظلمنا ظليما (ب11)، (نتركه وأرضه)، (أساء علينا)، طارقنا)، (عدوّنا). والطريف أنّ هذه الصلة تغذّي المعاني الفخريّة التي تتغنّى بها الذات الجماعيّة. فمراجعة الذات في ما ألحقته من ظلم بالآخر(هنا الظليم وهو ذكر النعامة) تعدّ انتصارا على عُتُوّها وغلوّها.

[1]– مثل هذا التوجيه إلى فضائل العدل في تقييم مسألة ما تقييما عقليّا يذكّر بما نظّر له ابن مسكويه (ت421هـ) أحد روّاد العلوم الاجتماعيّة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة. يدلّ هذا على اطّلاع علميّ واسع لدى الأمير أو هي حصافة عقل أو هي من باب توارد الأفكار. انظر: ابن مسكويه، أحمد بن محمّد، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، المطبعة الحسينيّة، القاهرة، 1329هـ/1911م، ط1، صص16–19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

والتجاوز عن أشكال الظلم التي يعجّ بها الاجتماع البشريّ علامة رفعة وتسامٍ. والبين عن المسيء مرجّح على مكافأته السوء بالسوء. والتهيّؤ لسدّ افتقار الناس بإكرامهم وسدّ رمقهم أمارة إنسانيّة وتحضّر. وأمّا المتمادي في الغيّ والعداء فالمواجهة له أصلح ولغيره أجدى وأنفع. وأمّا أشكال حضور الغائب المفرد فقد كان بعضها في الفاعليّة(جارَ–أساء)، وفي المفعوليّة(نتركه)، وفي الإضافة(أرضه–عشرته)، وفي الجرّ(عنه).

* هي: تعلّق هذا الضمير بالمكوّن الحيوانيّ (الوحش–الغزلان–المهاري–العاديات)، والمكوّن الجماديّ (الخيام–السفائن). ولا يخرج حضور ضمير الغائبة عن إبراز قيم الفخر الجماعيّ. منها ذلك البرهنة على المهارة في الصيد والسبق والوعي بالمفارقة بين ما ينجي وما لا ينجي بل المفاضلة بينها كما هو الحال في السفائن البرّيّة (استعارة للإبل) والبحريّة. يضاف إلى ذلك الفخر بامتلاك الأصيل من المهاري والخيل، وحتّى الخيام التي تعدّ مشتركا بين أفراد القبيلة رفع الشاعر من شأنها حين قدّمها في صورة تخييليّة بديعة تحوّلت فيها هذه الخيام وفضاؤها إلى نجوم في السماء زاهرة. فالمدى الفخريّ هنا طرفاه قوّة المادّة في الممتلك وقوّة العقل في الاختيار والتصوّر.

* هم: الغائبون المستحضرون في النصّ هم أوّلا: الحداة، وثانيا: نزلاء الحيّ، وثالثا: الأُلى، ورابعا: الأعداء. يرتدّ هذا الرباعيّ إلى قطبين: ما ينتمي لعالم الشاعر وما ليس له بمنتمٍ. وقد شاء الأمير أن يحيط القطب الأوّل بسمات الإيجاب من نغم ولحن في حداء الإبل، واستقرار حيث لا وضر، وحصافة العقل، وعلامتها الجمع بين النقل والعقل. وهي التي اتّسم بها السابق ليتوارث اللاحق. وأمّا القطب الثاني المتعلّق بالآخر فلم يذكر لا بصفة ولا باسم ولا بفعل. وإنّما اقتصر الشاعر على ذكر أمواله (أموال أعدائنا) (ب32). فهي متاحة للذات الجماعيّة، بفضل السمات الفخريّة الآنفة الذكر. وهي، إلى ذلك، ليست سبب تفرقة لخصلة العدل المنوّه بها في البيت نفسه.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

* هنّ: جاء هذا الضمير في فعل واحد(جعلن). وهو عائد على العذارى المخفيّات، صونا عن الأنظار، في الهودج، والمسترقات منه نظرا. ولم يخرج الشاعر هنا عن المألوف في وصفهنّ حين اختزل جمالهنّ في صفة الحَوَر. لم يذهب الشاعر في وصفهنّ إلى غير ذلك برهنة على عفّة وما تحتها من فضائل مثل "الحياء... والدماثة والانتظام... والوقار والورع..."[1].

تنوّعت الضمائر في النصّ حضورا وغيابا إفرادا وجمعا تأنيثا وتذكيرا. وقد سمح ذلك التنويع بمحاصرة القيمة العربيّة الأصيلة في مظانّ تجلّيها ومن ثمّ محاولة تجميعها والتعرّف على العلاقات بينها من جهة التقابل والتعارض أو التوافق والتكامل. وهذا الذي عمل الأمير الشاعر على توفيره في نصّه وبواسطة إبداعه التصويريّ التخييليّ لبالغ الأهمّيّة في مراجعة ما به الأمم تكون وتثبيت ما به الحضارات تقوم.

(3) مقارنة أخصّ: تعلّقت المقارنة العامّة باختبار المسألة القيميّة من خلال نصّ الأمير المنتخب عبر ثنائيّة كبرى هي الشرق والغرب وبيان العلاقة بين طرفيها. وقد توسّلنا في ذلك البحث في الإطارين الزمانيّ والمكانيّ باعتبار ما في الحيّز من ضبط لحركة الأشياء وما يتولّد عنها من صِلات. وارتبطت المقارنة الخاصّة بالحفر في النصّ من خلال أحد مكوّناته الفنّيّة ألا وهي الضمائر. وأمّا هذه المقارنة الأخصّ فتتغيّى النظر في الوجوه القيميّة المعرفيّة والوجدانيّة والسلوكيّة. وهي إذ تسعى إلى هذا التصنيف الثلاثيّ تسعى إلى التوغّل أكثر في دلالات النصّ القيميّة وبيان دورها الحضاريّ.

[1]– ابن مسكويه، أحمد بن محمّد، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، المطبعة الحسينيّة، القاهرة، 1329هـ/1911م، ط1، ص16.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

أ– الوجه المعرفيّ: وهو ذاك الذي تتولّد القيمة فيه عن ملكة الإدراك الذهنيّ حين يُعمِل المرء فكره في قيم مختلفة مقارنا بينها مستخلصا نتائج هي أقرب إلى العقل منها إلى الارتسام الانطباعيّ والانفعال الوجدانيّ. ويكون ذلك عن طريق اختيار قيمة مُعيّنة بين مجموعة من البدائل، وتشريحها لبلوغ حقيقتها الكامنة ودلالاتها الثاوية، ومقارنتها بغيرها. ومن ثمّ يكون النظر في نتائج اختيارها قبولا أو رفضا.

* ثنائيّة العذر والعذل: وهي التي بها كان استهلال النصّ. هاتان القيمتان مثمّنتان في الموروث العربيّ. فلا ينتظم اجتماع بشريّ دونهما. ذلك أنّ إيجاد العذر للمخطئ والمقصّر وربّما المسيء أيضا، يعدّ معبرا إلى الآخر المتفهّم ودعوة له إلى تقّل أفعاله وأقواله وأحواله. يقال في العذل ما قيل في العذر لما بينهما من تطابق دلاليّ. يبني الشاعر بإدراج هذه القيمة شخصيّة المتلقّي بناء معرفيّا قيميّا حين يدلّل على تمييزه بين حال مطلوب فيها تخيّر الأعذار وحال لا يستقيم فيها ذلك. ويدلّل كذلك على معرفته بمواطن النقد والانتقاد. فهو، إذ يحتجّ لحياة البدو ويرافع عن البادين، فإنّه يُسقط في يد الخصم كلّ حقّ ادّعى امتلاكه بما في ذلك حقّ توفير العذر لأهل الحضر ومنعه أهل البدو إيّاه.

يا عاذرا لامرئٍ قد هام في الحضر *** وعاذلا لمحبّ البدو والقفر

* تثمين السفر: من وجوه المعرفة التي تضمّنها النصّ بيان قيمة السفر الذي زخرت به المدوّنة التراثيّة العربيّة. وقد أوردها في سياق مقارنيّ أدقّ حين جعلها بديلا لمماحكة الملحق الأذى والمبدي الجور. فالبحث عن مواطن العزّ مقدّم على قبول الظلم والمهانة:

لا نحمل الضيم ممن جار نتركه *** وأرضه وجميع العزّ في السفر

* حليب النوق وحليب البقر: يجري الشاعر مقارنة بين نوعين من الحليب لا في إطار بحث علميّ غذائيّ. وإنّما في مدار الفخر بما يمتلك وتخيّره له الأفضل من الغذاء.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

لقد وفّر النصّ هذه القيمة العلميّة التي قد يثبتها العلم اليوم أو يثبت نقيضها. غير أنّها تظلّ قيمة معرفيّة مناسبة لحياة البدو. وابن خلدون حين أكّد أثر البيئة والغذاء في الطباع يكون قد أكّد ضمنيّا التناسب بينهما. وقد أثبت العلم الحديث هذا. يقول الشاعر، والضمير عائد على العاديات، أي الخيل.

شرابها من حليبٍ ما يخالطه *** ماء وليس حليب النوق كالبقر

* مقتضيات الصحّة: تكاد القصيدة بمجملها تضع ميثاقا صحّيّا مبنيّا على الخيارات البيئيّة المرشّحة لامتلاك بنية جسديّة وعقليّة مثلى. نختصر القول هنا في هذا البيت الذي يرد تتويجا لما سبق:

وصحّة الجسم فيها غير خافيةٍ *** والعيب والداء مقصورٌ على الحضَر

ب– الوجه الوجدانيّ: وهي ذاك الذي يكشف عن باطن المرء حين تتوهّج ذاته ويتضخّم كيانه، حين الفخر بالذات المفردة أو الجماعيّة بقيمة مُعيّنة أو جملة من القيم تنتظم فيما بينها انتظام تواشج وتكامل. وقد زخر النصّ بالقيم المغذّية للوجدان من سعادة الفرد باختيارها. والاختيارات الوجدانيّة كثيرة بها النصّ يعجّ. وهي خيارات الذات الجماعيّة التي تعدّ ذات الشاعر بعضا منها.

* تقصّي مواطن الجمال: في البيئة الطبيعيّة والبيئة الاجتماعيّة. نميذز هنا بين الإحساس بالجمال وتقصّيه لأنّ التقصّي عمل إدراكيّ إراديّ يوجّه الفعل ناحية التغذية الوجدانيّة. من علامات البحث عن مظاهر الجمال الطبيعيّ في القصيدة ما تعلّق بمشهد الصحراء عموما وبالرمل الذي بدا في عين الرائي درّا منثورا (ب4)، على وجه الخصوص. وقس على ذلك مشهد الروض وما يفرزها من أبعاد جماليّة تدركها الروح قبل الشمّ والبصر. وأمّا البيئة الاجتماعيّة فقد صبغها الشاعر بصبغة الجمال في تفاصيلها جميعها. خذ لك على سبيل التمثيل لا الحصر مشهد الخيام المنتظمة مثل النجوم في

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

السماء. وتمثّل أيّ غذاء وجدانيّ يسري به في باطن الرائي. وخذ لك، كذلك، مشهد أنعام الحيّ عائدة عشيّا ومحدثة صوتا رعديّا. وتمثّل وقعها في الرائي وقدّر أيّة نشوة تسري في دخيلته وتبعث فيها اعتزازا وتوهّجا. وقس على ذلك صور المهاري والعاديات ومتصوّر العذارى في هوادجهنّ.

* طلب ذروة الفضائل في العطاء والإحسان والسماحة. ففي العطاء قدّم الشاعر عيّنتين الأولى عبّر عنها باستباق عابر السبيل الذي يكون مفتقرا على المأكل والمشرب والملجإ. والاستباق علامة الاستعداد للعطاء. وهو يرقى عن العطاء المتروك للصدف. كذا كان يفعل العرب حين يتركون النار لُمستَوْبِص. والثانية مثّل لها بتخيّر ما يطعمون به خيلهم. والفرق بيّن بين توفير الطعام لها وتغيّر ما يعطيه لها. وأمّا الإحسان فليس المقصود به تقديم الحسنة. بل ردّ الإساءة إحسانا. فالظالم وهو يرتكب جرائمه يتوقّع ردود فعل متفاوتة لكنّها لا يتوقّع منه أن ينتظر إحسانا بترك الانتقام منه والابتعاد عنه، بما في ذلك مراعاة عشرة الجارة. فقيمة الجيرة هنا مقدّمة على رغائب الذات ومطامحها. أمّا السماحة فعلامتها إجابة المستغيث. والجانب الوجدانيّ في هذا الموضع هو إرضاء المستغيث لا على وجه الواجب وإنّما الرغبة الباطنة في إتيان ذلك الفعل. يتحقّق ذلك بدوام إسراج الخيل وانتظار المفزع.

فخيلنا دائما للحرب مسرجةٌ *** من استغاث بنا بشّره بالظفر

ج– الوجه السلوكيّ: وهو الذي تنبثق القيمة فيه من الممارسة الفعليّة ومن خوض غمار التجربة الفرديّة أو الجماعيّة، وتكون تلك الممارسة مرتكزة على قيمة مُعيّنة في ظروف وأوضاع مُختلفة. تنوّعت الممارسات الجماعيّة ذات الأبعاد القيميّة في طرق التعاطي مع الآخر الذي أدرجناه في الجانب الوجدانيّ لشدّة صلته بالشعور الباطن المسؤول عن إتيان الفعل أو تركه دون إملاء من خارج الوجدان. والذي نفرده بالنظر

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

هنا هو مشهد الصيد. ولهذا الاختيار سببان. الأوّل فلأنّه سلوك عربيّ أصيل عرفتها الحياة الجاهليّة وبعدها، وتوفّرت عليها عيون الشعر من معلّقات ومفضّليّات وأصمعيّات وغيرها من كتب الاختيارات. وأمّا الثاني فلأنّ مشهد الصيد في هذا النصّ ذو ذلالة عميقة. لكأنّ الشاعر لا يرصد الأفعال ولا يصف الأحوال إلّا بقدر دلالتها على المعارك التي يخوضها وجيشه ضدّ محتلّ أرضه مغتصب عرضه. يتوزّع هذا المعنى على أغلب أبيات القصيدة. ولكنّه يبرز أكثر ما يبرز في مواضع وصف الخيل والوحش والغزلان والطير في السماء، والإخبار عن وسائل حيازتها وطرق استثمارها. يقول الشاعر في أبيات متفرّقة، مسطّرا ملحمة ظاهرها جاذبيّة صيد وامتلاك مهاراته، وباطنها قوّة تهديد للعدى وترهيب:

نباكرُ الصيد أحيانا فنبغته *** فالصيد منّا مدى الأوقات في ذعر
ونحن فوقَ جياد الخيل نركضها *** شليلها زينة الأكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها *** على البعاد وما تنجو من الضمر

ثالثا: المفاضلـــة

لّما كانت الأشياء تعرف بأضدادها فإنّ المفاضلة تتجاوز اختيار البديل المناسب لتحقيق أهداف إنسانيّة إلى البحث عن السمات المميّزة مقابل التنازل عن سمات مغايرة لها. لذلك، يكون من الممكن، في هذا الموضع من البحث، الاسترفادُ بما عُرف به عالم الاقتصاد الاجتماعيِّ الإيطاليُّ فيلفريد فريتز باريتو (Vilfredo Pareto) (1848–1923) من مقولات تنظيريّة في صناعة النموذج. ولئن كان مجاله الاقتصاد فإنّ منطلقه الفكريّ

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

كان من فلسفة آدم سميث (Smith Adam) (1723–1790) الأخلاقيّة[1]. ولئن كان يستهدف غير ما تروم السرديّة القيميّة العربيّة بلوغه، فإنّ التعاطي معه هنا يكون باعتباره منظِّرا. فهو صاحب نظريّتين متكاملتين تقومان على فكرة المفاضلة بحثا عن النموذج أو المثال. تدرس كلّ من أمثليّة باريتو وأفضليّة باريتو في إطار الخيارات الممكنة، وهذا مهمّ في استنفاد الممكنات، في زيادة منفعة مستهلكٍ ما لسلعةٍ ما والإضرار بمستهلك آخر. ولا يرى باريتو تحقّقا للأمثليّة إلّا متى اُستُنفد التفضيلاتُ كلّها. وهذا مهمّ في سيرورة المفاضلة الإجرائيّة وصناعة الأفضل.

(1) **الذات العبقريّة**: يثير النصّ مسألة معرفيّة منهجيّة في غاية الأهمّيّة. وهي أن يوقع الباحث ذاته، وهو في مرحلة صياغة أطروحته أو الردّ على أطروحة نقيضة، في موضع البحث عن نوع من العبقريّة. وهذا الذي بدا لنا في خطّة الأمير في قصيدته هذه. لقد قدّم ذاته ذاتا دالّة على عبقريّة شاعر يعرف من موضوعه ما لا يمكن للمتلقّي أن يعرفه ابتداء. وهذا الذي قصدنا التمثيل له حين تخيّرنا من شعر الأمير عبد القادر الجزائريّ هذه القصيدة. هي ذات تجمع بين التحصيل المعرفيّ والقدرة على ترويض الكلام. ثمّ إنّها ذات تشتغل وفق نسق تصاعديّ في القيم الفكريّة والخلقيّة والجماليّة

[1]– يقرّر سميث، أبو الرأسماليّة كما يلقّب، أفضليّة النظام الطبيعيّ الذي ينهض فيه السلوك الإنسانيّ على دوافع ستّة: حبّ الذات، والتعاطف، الرغبة فى الحرّيّة، والإحساس بالملكيّة، وعادة العمل، والميل إلى المبادلة. لا ينبغي أن تغيب عن المتلقّي خلفيّة سميث في التمرّد على الطرح الكنسيّ، ولا ما شهده من تطوّر فكريّ تحوّل فيه من المناداة بالقيمة الأخلاقيّة لعمل الخير إلى المصلحة الشخصيّة باعتبارها محفّزا للفعل البشريّ. يطابق هذا كلّيّا السرديّة الاستعماريّة التي يسعى نصّ الأمير إلى دحضها وبيان فسادها من خلال صناعة البديل.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

والإنسانيّة والحضاريّة. وهي إلى ذلك ذات تمتلك أدوات استقطار اللحظة الحضاريّة بكلّ أبعادها ضمن المقولة الشعريّة.

أ– الجمع بين التحصيل المعرفيّ والقدرة على ترويض الكلام. فامتلاك القيم ليس أمرا بديهيّا ولا يدخل ضمن المسلّمات. وقد أكّد ذلك ابن مسكويه حين ضبط غرضه من تأليف كتابه **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، "أن نحصّل لأنفسنا خُلُقا تصدر به عنّا الأفعال كلّها جميلة وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقّة"[1]. وهذا التحصيل المعرفيّ يكون، والعبارة لابن مسكويه "بصناعة وعلى ترتيب علميّ"[2]. لهذا الاعتبار المعرفيّ لاحظنا خروج الطرح الأميريّ عمّا كان مألوفا في تنظير المفكّرين من مستشرقي عصره[3].

لقد قدّم الأمير لقاء الشرق والغرب في غير الإطار التقليديّ. إذ جعل أرضيّة اللقاء جامعة بين خاصيّتيْن فلسفيّة وفنّيّة. وعبقريّة الذات هنا دليلها إدراك الأمير أنّ قيمة التسامح وبناء الجسور بين بني الإنسان[4] لا تكون دون معرفة الذات. فمن جهل ذاته أضاع وجهته. فكيف به، وتلك حاله، أن يجد طريقه إلى الآخر. إنّ معرفة الذات "ما هي وأيّ شيء هي ولأيّ شيء أوجدت فينا. أعني كمالها وغايتها وما قُواها وملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتب العليّة..."[5]، هي السبيل إلى التعاطي مع الآخر تعاطيا حضاريّا. والسؤال هنا: هل يمكن لمن جهل البديهيّات أن يدرك

[1]– ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، م. س، ص2.

[2]– م. ن، ص. ن.

[3]– مثل ليون روش (Roches) وقد كانت له به صلات متنوّعة.

[4]– انظر: قرفال، **شخصيّة الأمير**، م. س، ص65.

[5]– ابن مسكويه، **تهذيب الأخلاق**، م. س، ص2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

سواها ممّا يكون غامضا أو خفيّا مستغلقا. فبعد أن وجّه الشاعر، في مطلع القصيدة، كلامه لمخاطِبه الذي أقرّ العذر حيث لا عذر وأكّد العذل حيث لا عذل، أثبت عليه الحجّة حين أبان جهله. وفي هذا ضرب من ترويض الكلام وهندسة المعاني. فالمخاطب أخطأ ثلاثا: حين لم يتسلّح بالعلم وحين أوجد عذرا لمن لا عذر له، وحين وجّه لوما لصاحب حقّ. فليس أقلّ من أن يتدارك العلم بحقيقة الأشياء. ألم يقل في أسلوب شرطيّ امتنع فيه العذر لامتناع العلم:

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني *** لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر[1]

هذا الخلل المعرفيّ الناجم عن جهل الآخر يعدّ خيطا خفيّا ناظما لأبيات القصيدة. وهو يخفي معنى آخر، هو إقرار هذه الحقيقة الفلسفيّة في ذهن المتلقّي حقيقة جهل الآخر. وهذا المتلقّي درجات من جهة القرب من زمن نشأة النصّ ومن جهة خصوصيّته الوظيفيّة ومن جهة دوره الحضاريّ. فأمّا الجهة الأولى فتخصّ المتلقّي الأوّل الذي لجأ إلى الأمير قصد تحكيمه في أمر يعلمه وآخر يجهله. وهو بذلك يكون قد أقرّ له بالعبقريّة للأمير الذي سيشفّ جوابه عن معرفة مكينة بالأمرين كليهما.

وأمّا الجهة الثانية الخاصّة بالمتلقّي فهي المتمثّلة في خصوصيّته الوظيفيّة. فأبريا هذا الذي ترجم النصّ ضابط مترجم من درجة أولى. وهو كذلك مستعرب صاحب خبرة بالعربيّة لغة وأدبا وحضارة، مع وجوب التنسيب. فهو مكلّف، من لدن حكومة الاحتلال، بالتغلغل في ألياف المجتمع لمعرفة المحرّكات الباطنيّة التي هي ليست سوى القيم المحمّلة في الذاكرة الجماعيّة. وقد وهبه الأمير بنصّه هذا الكثير من أسرارها، مثل الصيد،

[1]– الجزائريّ، **الديوان**، م. س، صص50–51.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

والمستعمِر وأذنابه صيد، والأهبة والاستعداد والبكور والمهابة، في صدر البيت العاشر القابل لأكثر من قراءة:

نباكرُ الصيد أحيانا فنبغته *** فالصيد منّا مدى الأوقات في ذعر

ولا شكّ في أنّ ترجمة هذا النصّ تُعَدّ إحدى وسائل المستعرب في تحقيق ما كلّف به من مطالب. وأمّا الجهة الثالثة الموصولة بدور المتلقّي الحضاريّ فهي تبتدئ من مترجم النصّ المرحّل لمحاميله المعرفيّة القيميّة من ضفّة المتوسّط الجنوبيّة إلى ضفّته الشماليّة، تبتدئ به لتشعّ في كلّ اتّجاه كلّما طفح النصّ على سطح الثقافة الغربيّة، بل والعربيّة أيضا كما هو الحال في محاولة البحث هذه.

ب– الذات والنسق القيميّ: إنّها ذات، في تعاطيها مع القيم الفكريّة والخلقيّة والجماليّة والإنسانيّة والحضاريّة، تشتغل وفق نسق قيميّ تصاعديّ. وهذا في حقيقة الأمر يدخل ضمن الخطط الحجاجيّة، أو ما يسمّى باستراتيجيّة الخطاب الحجاجيّ. بدا الشاعر متسلّحا بمثل هذه الخطط التي إن لم تبلغ بالمتلقّي حدّ الاقتناع أوصلته إلى التبكيت والإفحام، وإن لم تروّض عقله زجّت به في عوالم نفسه محدثة فيها توتّرات، في ما يشبه زعزعة ما استقرّ من خيارات وقناعات.

* النسق الفكريّ: وهو مبثوث في القصيدة يوجّه المتلقّي إلى إعمال الفكر في جملة الفضائل التي قد لا يدركها المرء ما لم يتبيّن العلاقات بين الأشياء وبين الكائنات وبين الناس. من ذلك

– التفكير في ما يحقّق للصيد نجاعته. فمن مبادئه المباغتةُ. وهذا خلاف ما يعرف في مشاهد الصيد عند الأوروبّيين والاستعداد للخروج إليها. حيث العادة عندهم تكون بالنفخ في الأبواق ودقّ الطبول. وهو مشهد أقرب للحرب منه للصيد الذي يعدّ رياضة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

وسياحة وترفيها. وفي ذكر المباغتة في الصيد تلميح لاعتماد المبدإ ذاته في مهاجمة الخصوم. يقول:

نباكرُ الصيد أحيانا فنبغته *** فالصيد منّا مدى الأوقات في ذعر

– التفكير في ضرورة المراهنة على مهارة الملاحقة. يقول:

نطارد الوحش والغزلان نلحقها *** على البعاد وما تنجو من الضمر

– التفكير في مدّخرات الحكمة التي تتوارثها الأجيال. وهذا من أشكال التجذّر والإيمان بالتكامل بين السابق واللاحق دون التشكيك في المبادئ الأساسيّة التي أنشأت حضارة العرب والمسلمين. ونعني بذلك الجمع بين النقل والعقل. وفي هذا الطرح انتقاد لفلسفات التنوير المناهضة لكلّ نقل والثائرة على الفكر اللاهوتيّ الكنسيّ. وهذا خلاف لما عند ملّة الإسلام. والشاهد في ذلك قوله:

قال الألى قد مضوا قولا يصدّقه *** نقلٌ وعقلٌ وما للحق من غير

* النسق الخُلقيّ: أدرك الشاعر وجوب قيام الفعل البشريّ على مبادئ خلقيّة تكسبه صفة الإنسانيّة التي كثيرا ما برهن الخصوم من الغرب ومن والاهم عليها في سلوكهم تجاه المختلف والمخالف على حدّ سواء. من ذلك

– مراجعة الذات حين تقع في إلحاق الظلم بالآخر، والإقرار بذلك، وإن كان هذا الآخر من الأنعام مثل ذَكر النعام مثلا:

فكم ظلمنا ظليما في نعامته *** وإن يكن طائرا في الجو كالصقر

– هناك فضيلة خُلقيّة ذات دور في حفظ العلاقات: التجاوز عن إساءة الآخرين وإيثار التسامح على الانتقام:

لا نحمل الضيم ممن جار نتركه *** وأرضه وجميع العزّ في السفر

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

* النسق الجماليّ: تضجّ قصيدة الأمير بمسالك الجمال، حتّى لكأنّ عالم البادية معين ثرّ لا ينقطع عن ضخّ الجمال في الكون. وقد تجلّى ذلك في الألوان والأشكال والحركات والعلاقات أيضا. – – منظر الروضة: وهو منظر يختزل صنوفا من الجمال، إضافة إلى ما يبقيه من أثر طيّب، كما في قوله مخيّرا المخاطَب في الظفر ببعضٍ من جمال البادية:

أو جلتَ في روضةٍ قد راق منظرها *** بكل لونٍ جميل شيّق عطر
تستنشقنّ نسيما طاب منتشقا *** يزيد في الروح لم يمرر على قذَر

– مشهد الرحيل الذي تقاطعت فيه حركتان: أفقيّة في سيرورة الرحلة وعموديّة في نزول المطر. وهو مشهد يكتسي جماله وطراقته من الهودج وما يخفيه من فتنة متخيّلة لا دليل عليها سوى العيون الحوراء المسترقة النظر عبر فتحات الهودج. يقول في بيتين:

يوم الرحيل إذا شدّت هوادجا *** شقائق عمّها مزنٌ من المطر
فيها العذارى وفيها قد جعلن كوىً *** مرقعاتٍ بأحداقٍ من الحور

* النسق الإنسانيّ: يرتبط هذا النوع من الأنساق بجوهر الإنسان الذي بدأت تحطّمه الآلة منذ انبثاق الثورة الصناعيّة وما أفرزته من مكتشفات تقنيّة وطبّيّة ألغى الكثير منها جواهر الأشياء وانتصر لعوارضها وقشورها. والمثال في ذلك

– النسيم النقيّ من كلّ مظاهر التلوّث التي تعجّ بها المدينة:

تستنشقنّ نسيما طاب منتشقا *** يزيد في الروح لم يمرر على قذَر

– صوت الحادي الذي يتفوّق على أصوات الآلات الموسيقيّة المسوعة أصواتها في صخب المدينة:

تمشي الحُداةُ لها من خلفها زجلٌ *** أشهى من الناي والسنطير والوتر

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

– الإبل التي ظلّت وسيلة النقل والتنقّل في البادية. وهي رفيقة البدويّ في حلّه وترحاله له فيها مآرب كثيرة. شتّان بينها وبين السفن الصناعيّة:

سفائن البرّ بل أنجى لراكبها *** سفائن البحر كم فيها من الخطر

– من نتائج الاستمراء بهدوء البادية ونقاء هوائها وتُربها واكتنازها بالخيارات الطبيعيّة، من نتائج كلّ ذلك امتلاك بنية جسديّة سليمة، وبالاستتباع امتلاك عقل سليم:

وصحّة الجسم فيها غير خافيةٍ *** والعيب والداء مقصورٌ على الحضَر

* النسق الحضاريّ: من الواحد إلى المتعدّد ومن الكراهيّة إلى المحبّة ومن الصدام إلى التشارك. يعدّ هذا النسق أشمل الأنساق القيميّة التي تستهدف بناء إنسان متجاوز لأنانيّته ونرجسيّته وساديّته (Sadisim) ومازوشيّته (Masochism)، بناء إنسان مستقيم. ألم يربط الفيروزآباديّ (ت817هـ/1395م) بين مفهوم القيمة والاستقامة حين قال: "فمن لا قيمة له هو "من لم يدم على شيء... و–أزال عوجه... واستقام اعتدل... وقوّمته عدّلته"[1].

– النجدة: التي هي من قيم الجاهليّة. وتكون لكلّ طالب للمساعدة، بما في ذلك طارق الليل وعابر السبيل. يفتح أهل البادية باستقبال كلّ ذي لُبانة بابا واسعا للمفاهيم الإنسانيّة الكبرى التي قد يتمّ وأدها وتشهد أفولها حين يسيطر الجشع على الإنسان:

نبيت نار القرى تبدو لطارقنا *** فيها المداواة من جوع ومن خصر

– العدل: ولا يغيب المعروف حتّى حالات الأثرة عند الغنائم:

أموال أعدائنا في كلّ آونة *** نقضي بقسمتها بعلو القدر

[1]– الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسّسة الرسالة، لبنان، 1426هـ/2005م، ط8، ص1152.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

ج– استقطرت المقولة الشعريّة اللحظة الحضاريّة بكلّ أبعادها. نهتمّ هنا بمختلف العناصر القيميّة المكوّنة للمشهد الحضاريّ زمن نشأة النصّ وزمن ترجمته وزمن قراءته. وهي أزمنة ثلاثة يفصل بين الزمن الأوّل والذي يليه خمسة عقود ويفصل بين الزمن الثاني والموالي له قرنٌ يزيد عقدين. ولا ريب في أنّ الفواصل الزمانيّة ذات أبعاد حضاريّة مهمّة.

* **زمن نشأة النصّ**: في خمسينات القرن التاسع عشر، ما بين عاميْ 1848 و1852 كان الشاعر يخوض تجربة الاعتقال في قصر أمبواز. لم يكن وحده. بل كان برفقته رجاله من المجاهدين ونساء وأطفال ورضّع. كان الشرط، حين ألقى الأمير السلاح، أن ينفى إلى فلسطين. غير أنّ البارجة التي حُمل عليها وصحبه غيّرت وجهتها من فلسطين الشرق إلى فرنسا الغرب. ويبدو أنّه كلّما يضيق الأفق على الإنسان تنفتح أمامه بوّابة القيم، ويتّسع مجال المقارنة بين ما ورثه، ما ألفه، ما له على وجه الخصوصيّة القيميّة الثقافيّة وما ليس له.

هناك في الأسر انشغل الأمير بالردّ على القسّيسين مثل فرنسوا بورقاد (Bourgade, François) (1806–1866)[1] الذي ألّف كتابا حول القرآن والإنجيل[2]

[1]– وهو أحد قساوسة فرنسا الخطيرين الذين كان لهم حضور لافت بتونس خلال القرن التاسع عشر، لا سيّما من خلال المنشآت الفرنسيّة التي ينسب إليه تأسيسها بتونس: معهد فرنسيّ ومستشفى فرنسيّ ومطبعة ومتحف آثار. كان يجيد عددا من اللغات. منها العبريّة والعربيّة التي تميّز فيها خطابا وكتابة. وقد تخرّج على يديه أوّل أساتذة عربيّة بالسربون من أصل تونسيّ.

[2]– والأصحّ أنّه كان في شكل محاورات أو مسامرات بين ثلاث شخصيّات: قسّ كاثولكيّ ومفتٍ وقاضٍ. انظر:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

وسمه بـــ **أمسيات قرطاجة**[1]. وكان الردّ عنيفا اختزله العنوان: **المقراض الحادّ لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد**، وقد نقل إلى الفرنسيّة مباشرة، ونشر. يقدّم هذا العنوان صياغة دقيقة ومكثّفة لشخصيّة الأمير عبد القادر التي لم تكن لتفقد شيئا من المبادئ والمثل الأصيلة التي آمنت بها رغم أنّ نتاجه هذا، وأغلب ما حبّر قلمه كما قيل، كان في مرحلة الأسر التي لن تُفَكّ إلّا في عهد لوي نابليون بونابرت رئيس الجمهوريّة الثانية. لقد تملّك من القوّة ما لم يفقده إيّاه قهر السجن وهوانه. وستقدّم آمال شواتي في كتابها **جزائريّات قصر أمبواز** لوحات من ذلك غير قليلة. ننتخب قولة مختصرة العبارة مكتنزة الدلالة أوردتها شواتي بعد رسم لوحة من عذابات المعتقلين بين مرض وجنون وانتحار، نقلتها بصوت إحدى السجينات "كانت لدينا، للمرّة الأولى، القدرة لنقول لا للسادة الجدد الذين حوّلوا أسيادنا عبيدا لهم"[2].

ومن هنا يمكن أن نفهم مضامين القوّة في القصيدة المنتخبة هنا. بل ربّما وجب فهمها من زاوية النظر هذه: استقصاءً لمواطن القوّة في أعماق الذات لمواجهة المهانة الإذلال.

* **زمن ترجمته:** في مستهلّ القرن العشرين يتّم المستعرب جول أبريا القصد تجاه قصيدة الأمير عبد القادر الجزائريّ. ميزة العصر يومها تتمثّل في كون فرنسا التي دخلت الجزائر عنوة وقبضت على زمام الأمور فيها رغم جهاد المجاهدين ونضال المناضلين، قد

Bourgade, François, **Soirées de Carthage, ou Dialogues entre un prêtre catholique, un muphti et un cadi**, traduites en arabe par M. Soliman Al-Harairi, Paris, 1852.

[1]–Bruno, Etienne et Pouillon, François, **Abdelkader le magnanime**, Découvertes Gallimard, Paris, 2003, p. 47.

[2]–Chaouati, Amel, **Les Algériennes**, op. cit , pp. 120-122.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

حطّت الرحال، منذ عقدين من الزمان، في تونس وطاب لها المقام، وهي إلى ذلك تشرئبّ أعناقها إلى المغرب الأقصى لبسط نظام "الحماية" عليه. ولا يخفى على ذي نظر ما في هذا التوجّه الاستعماريّ من رغبة في إلغاء الآخر والاستحواذ على معالم حضوره الحضاريّ جميعها. ولا عجب، بعد ذلك، أن يخرج أحد المستعربين، شارل منشكور (Monchicourt, Charles-Félix) (1873–1937) على القوم بمقترح[1] ينسف الجزائر وتونس والمغرب، لكونها مستعمرات فرنسيّة، من الخارطة، ، ببديل هو ألتوما (ALTUMA)[2]. فلو أنّ ذلك أُقرّ لكنّا اليوم ألتوميّين!

كانت بداية القرن العشرين، من منظور استعرابيّ، مرحلة مهمّة تجاوزت الحفر في التراث الثقافيّ الماديّ إلى الغوص في التراث الثقافيّ غير المادّيّ تعرّفا على التقاليد والمعتقدات والمبادئ البانية للشخصيّة الأهاليّة[3]. ولعلّ المترجم أدرك أنّ البحث في شخصيّات ذات اعتبار عند قومها كما عند خصومها، مثل شخصيّة الأمير يصيب أهدافا بحجر واحد. فقد نُظر إلى هذه الشخصيّة نظرة تعلي من شأنها وتراها مفارقة للمألوف متسامية عن المعتاد من صور البشر. وقد اُعتبرت، إلى جانب ذلك، وبفضل قيم التشارك والتعايش التي نادت بها، حلقة وصل بين الشرق والغرب[4]. ومن الواضح أنّ

[1]–Monchicourt, Charles , **De la nécessité d'adopter pour la Triade Algérie-Tunisie-Maroc un Nom propre d'ensemble**, Revue Africaine, n° 79, 1936, p. 226.

[2]– (ALTUMA): اختزال لأسماء الجزائر (AL) وتونس (TU) والمغرب (MA)، وفق ترتيب احتلالها تاريخيّا.

[3]– نسبة إلى الأهالي، وهم السكّان الأصليّون الذين خصّهم المستعربون باسم (Les indigènes). يوفّر هذا اللفظ وما يندرج في حقله، في علم التأثيليّة والمعجميّة، مجالا بحثيّا أكاديميّا ذا قيمة اعتباريّة.

[4]– ولا يكاد يخلو عمل كاتب حوله من نظرة الانبهار تلك.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

فهم الشخصيّة المستعمَرة استغلق على الباحثين من غير بني قومهم. ولا نرى استعراض قيم القوّة والسماحة التي ينادي بها الأمير الجزائريّ إلّا ضاعفت ذلك الاستغلاق. وهذا لعمرنا أحد براهين الصدق في أثر القيم العليا في تصحيح سيرورة الإنسان والتحكّم في صيرورته لا سيّما في عصر العولمة الثقافيّة هذا.

* **زمن قراءته:** قرئ الأمير في عصره، وبعد عصره. وما تزال القراءات حوله تُنشأ. ولا تكاد قراءة تتناوله إلّا وتقف عند التكثيف القيميّ الذي يرمز إليه. وكاد يكون محلّ اختصاص علميّ عند بعض المستعربين أمثال برينو إتيان (Bruno, Etienne) (1937–2009)[1]. بل اجتمع حوله أكثر من باحث. فقد شغل اهتمام كلّ من برونو المتقدّم الذكر والفرنسيّ المعاصر، فرانسوا بويّون (Pouillon, François)، صاحب : **معجم المستشرقين الناطقين بالفرنسيّة**[2]. فكان بينهما تشارك في عمل موسوم ب**عبد القادر الشهامة**[3]. وممّا جاء في مقدّمة نقتطف هذه النبذة "الملحمة الخارقة للعادة والمدوّيّة، ملحمة الأمير صاحب الفرس الأدهم"، يختزل، برأينا، قيم العروبة السمحة أنفةً ونخوة والفروسيّة البهيّة بطولةً وفذاذة. ومن هنا تكون ملحمة الأمير المختزلة في رائيّته هذه التي قدّمت ذلك ذاتا متملّكة لأدوات استقطار اللحظة الحضاريّة بكلّ أبعادها، ضمن مقولة شعريّة ذات عمق دلاليّ مع علوّ في سقف التصوير والتخييل. لقد انبثقت

[1]– برونو، إيتيان، **الأمير عبد القادر الجزائريّ**، ترجمة: ميشيل خوري، دار عطيّة للنشر، لبنان–بيروت، 1997، ط1.

[2]–Pouillon, Francois, **Dictionnaire des orientalistes de langue française** ,François Pouillon(éd.), nouvelle édition revue et augmentée, IISMM –KARTHALA, 2012.

[3] –Bruno, Etienne et Pouillon, François, **Abdelkader le magnanime**, op. cit, p. 47.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

عن ثنائيّة الشرق والغرب البارزة في القصيدة جدليّات شائكة: التراث والمعاصرة والعلم والإيمان المادّيّة والروحيّة الحرّيّة والاستبداد. إنّها سرديّة قيميّة عربيّة ما تزال تنسج خيوطها في عصرنا الراهن، وما تزال تشكّل، لنا ولغيرنا، احتياجا وجوديّا، قد يجلي السبيل أمام السالكين بحثا عمّا به يكون الإنسان إنسانا.

(2) **الذات المبدعة**: يشكّل الشاعر من صور الوجود التي تلتقطها أبصار جميع الرائين وتدرك الكثير منها بصائر غير الرائين، الصورة تشكيلا لغويّا بعد أن يكون قد سرّح فيه نظره. ذلك أنّه يعمد إلى وسائط لغويّة ليكوّن صوره الفنّيّة التخيليّة التي لا تخرج عن إطار دلاليّ قيميّ عربيّ. تتنوّع المعطيات المشهديّة وتعدّد. لكنّها لا تخرج عن حيّز البيئة البدويّة وما يتّصل بها من فضاء رحب وزمان مطلق ومهارات إنسان مقبل على الحياة. لا يوقف الشاعر العالم المحسوس في الصورة الشعريّة[1] التي يقدّها. وإنّما يجعله في حركة دائمة لا تفتر، وجهد دؤوب لا يني. وما ذاك إلّا طريقة في سبر أغوار هويّة الشّاعر فردا وجمعا وفي التعبير عمّا يعتمل في باطنه من طاقة إنسانيّة ولّادة لمختلف قيم التعايش السلميّ والمشترك الإنسانيّ.

يسمح النظر في النصّ بالتعرّف على تقنية التصوير المعتمدة من لدن الأمير. إنّها تقنية تحوّل الممجوج محبوبا والمألوف عجيبا والدقيق جليلا. وذلك عبر وسائط ثلاثة: هي التشبيه والاستعارة والاشتقاق.

أ– التشبيه: هو من الأساليب البيانيّة. والأصل فيه أن يكون لتقريب الصورة من المتلقّي. غير أنّ عبقريّة الأمير الشعريّة تجاوزت ذلك إلى ما هو أشدّ تأثيرا وأقوى حجّة.

[1]– هذه القصيدة مرشّحة لعمل فنّيّ، خارج هذا الإطار، يتناول الإيقاع بمستوياته والصورة من المصدر والمكوّنات والوظائف والمرجعيّات.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

لقد اقتضى مقام المناظرة، وإن كانت افتراضيّة، فهو يخاطب متلقّيا ويستحضر خصما، اقتضى ما به يتجاوز الاستدراج إلى الإفحام والتبكيت. فكان التثمين والرفعة والتعالي والتجميل... الخ.

+ **التثمين**: ففي البيت الرابع كان التشبيه التالي: **الحصباء كالدرر**: شبّه الحصباء السهلة المأخذ بالدرر النفيسة. فدلّ على سعة خياله في تحقيق المقاربة التصويريّة بين الحصى المتناثر على الرمال، والدرّ قلّما يرى في غير مواضع النفاسة. وكذلك البيت الثامن عشر **ترابـــها المسك**: عمل الشاعر على إحداث تحويل ثمّن بواسطته التراب حين شبّهه بالمسك. فما يكتنف حياة البدو من التصاق بالأرض لا ينظر إليه إلّا من زاوية جماليّة تعمل على استمالة المتلقّي.

+ **الرفعة والتعالي**: ورد في البيت السادس والعشرين تشبيه بليغ: **نحـــن الملـــوك**: ارتقى الشاعر بحياة البدويّ في فضائه الرحب وسيادته على نفسه وتحرّره من تعقيدات الحياة إلى حياة الملوك. ولا شكّ في أنّه قد استحضر العزّة والأنفة والسؤدد في ذلك.

+ **التجميل**: حضر في البيت التاسع عشر تشبيه تمثيليّ: لقد شبّه الشاعر منازل البادية والخيام المصفوفة بها حين يلقاها العائدون من القوم مساء ب السّماء وقد تناثرت فيها النجوم فزادتها إشراقا وجمالا: **مثل السماء زهت بالأنجم الزهـــــر**

+ **التعظيم**: توفّر البيت الثاني والعشرون على تشبيه طريف: **أصواتها كدويّ الرعد بالسَّـــحر**: تعود الهاء على الأنعام حين تكون راجعة من مواضع الرعي. أمّا صوتها فيحاكي صوت الرعد. وقد تخيّر الشاعر زمن السحر ليضخّم الصوت الذي يتضاعف وقعه في الآذان عند السكون. إنّ قوما هذه بعض صفات أنعامهم لجديرون بأن يُهابوا لا لكثرة ما يمتلكون من النعم. وإنّما لانتظام عيشهم على وقع الحياة القويّ.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

ب – الاستعارة: يعتبر البلاغيّون الاستعارة أقوى من التشبيه لتجاوز علاقة المشابهة بين طرفي التشبيه إلى نوع من المطابقة الكلّيّة بينهما. وما يعنينا منها هنا هو ارتباطها بالتشخيص والتجريد والاكتناز الدلاليّ. ففي لفظ قليل يحضر المعنى الكثير.

+ **التكثيف:** الذي تتحوّل فيه حبّات الرمل بساطا: **بساط رمل**، في البيت الرابع وتتكاثر فيه قطرات المطر حتّى يبلغ مرحلة الهيجان: **هاج هاتنه**، في البيت السابع.

+ **المهابة:** حوى عجز البيت العاشر ما يلي: **فالصيد منّا مدى الأوقات في ذعـــر**. انعقدت علاقة خشية ومهابة دائمة، بين الصيد والمتكلّم الجمع. وفي ذلك إقرار لمعرفة أهل البادية بفضائهم ومعرفة الفضاء لهم في نوع من التكيّف والتكامل.

+ **التعظيم:** الابل: ارتبطت حياة البدو بالإبل التي أطلقوا عليها اسم سفينة الصحراء. وشاء الشاعر أن يجعلها هنا ضامنة لأمن راكبها متفوّقة في ذلك على السفن الحريّة. وقد عظّم شأنها بهذه الخصلة وبذكرها في جمع الجمع. فقال في البيت الثالث والعشرين: **سفائـــن الـــبرّ**. فالسفينة جمعها سفن. والسفن جمعها سفائن. وزادها تعظيما بتوسعة الفضاء. فهو البرّ المقابل للبحر والذي تعدّ الصحراء بعضا منه.

ج– اسم التفضيل: توسّل الشاعر جملة من المشتقّات ليقدّ صورة البادية البديعة المقنعة بمفارقتها لمألوف الحياة عند الحضر. يعنينا، هنا، من همذه المشتقّات اسم التفضيل الذي يفترض، ليكون، مكوّنين: المفضّل والمفضّل عليه. ومن هنا نسجّل ضروبا في المفاضلة:

+ **في الذوق:** الوحش يرعى **أطـــيَبَ** الشّجر، البيت الثامن.

+ **في السمع: زجل الحداة: أشْـــهى** من الناي والسنطير والوتـــر، البيت الرابع عشر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

+ **في الملمس والمنظر والشمّ معا:** ترابـــها الـــمسك بل **أنقى**، البيت الثامن عشر.

+ **في الأمن:** سفـــائن البرّ بـــل **أنـــجى**، البيت الثالث والعشرون.

+ **في العمر:** فنحن **أطْـــوَل** خلق اللّه في العمـــر، البيت الخامس والثلاثون.

لقد استهدف الشاعر وهو يصوّر حياة البادية الارتقاء بها من خلال الاشتغال في عمليّة تحريك كلّ الحواسّ وإخراجها من حال السكون إلى الحيويّة واليقظة. وفي ذلك اجتماع مقوّمات القوّة الجسديّة والروحيّة. ومن ثمّ التفوّق في المدى العمريّ أو ما يسمّى بنسبة الأمل في الحياة.

تتواشج هذه الطرائق الفنّيّة لتجعل من عالم البدو بما فيه من حركة دؤوب واتّساع في الفضاء وامتداد في الزمان عالما بديعا فريدا من نوعه، عالما مؤثّرا في حياة الفرد والمجموعة تأثيرا خلّاقا تتحوّل فيه العزلة انفتاحا والكآبة سعادة والسكون حركة والانطواء مشاركة والتنافر انسجاما يحكي وحدة الوجود كما تمثّلها أعلام الصوفيّة. ثمّ إنّ رؤية الوجود بناء على ذلك تتّخذ أبعادا أخرى. إذ يصبح كلّ شيء فيه مشرقا جميلا جذّابا ثمينا متناسقا جديرا بأن يكون محلّ تفكير وتوظيف.

(3) **الذات المتجذّرة في عالم القيم:** لا يكاد مجال من مجالات المعرفة العربيّة اللغويّة والأدبيّة يخلو من اشتغال استعرابيّ به. فالمدوّنة الشعريّة والنقديّة واللغويّة شدّت المستعربين حتّى الأثر الواحد كان يقبل عليه أكثر من مستعرب، أحيانا في الحقبة الزمنيّة نفسها[1]. فلا عجب والحال تلك أن يتوفّر نصّ الأمير هذا على دلالات عميقة ذات

[1]– خصّص العقيقي الفصل السادس من الجزء الأوّل، من موسوعته، وهو الواقع بين الصفحات151– 346، للاستشراق بفرنسا ومتعلّقاته. هناك وفّر جملة من التراجم المهمّة التي ضمّنها جهودا استعرابيّة جمّة في التعاطي مع مدّخرات التراث العربيّ تحقيقا وشرحا وتعليقا وترجمة ونشرا. انظر العقيقيّ،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

أصول قديمة تبرهن أصالة المبحث القيميّ عند الحضارة التي ينتسب إليها ويحتجّ لتفوّقها في ما به تبنى الحضارات.

وممّا يسجّل الناظر في هذا النصّ أنّ بنيته الخطابيّة تثير مسألة النصّ الغائب. وذلك من خلال استلهام الذخائر التراثيّة أو الصوغ على منوالها. وليس هذا بمهمّ هنا من جهته الاقتدار الفنّيّ عند الأمير، وهذا واقع فعلا، وإنّما تتأتّى أهمّيّته، هنا، من جهة الدلالة على العمق الحضاريّ لمنظومة القيم التي يروّج لها الأمير بنصّه الشعريّ هذا. فهو ينتمي إلى بيئة ذات حضور تاريخيّ عميق، بيئة متجذّرة في مدار قيميّ واسع المدى عميق الدلالة. ولنمثّل لذلك مجرّد تمثيل لهذا النصّ الغائب أو تناصّ اللاحق مع السابق. إنّ تتبّع الأمثلة في هذه القصيدة مفيد، أي نعم، لكنّه يفيض على البحث. لذلك نقتصر في النظر على مثالين اثنين. في المثال الأوّل يظهر التناصّ بين قول الأمير:

* لو كنت تعلـــم ما في البدو تعذرني*** لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

وقولِ الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 170هـــ/786م) ذي الهندسة الفنّيّة التركيبيّة البديعة:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني *** أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعـــذلتني *** وعلمت أنك جاهل فعذرتكا[1]

وأمّا في المثال الثاني فيتجلّى التناصّ بين قول الأمير:

نحن الملوك فلا تعدل بنا أحدًا *** وأيّ عيـــشٍ لمن قد بات في خفر

نجيب، **المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتّى اليوم**، دار المعارف، مصر، 1964، ط3.

[1]– السيوطيّ، جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى البابي الحلبي، سوريا، 1384هـــ/1964م، ج1، ص558.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

وقول الشاعر المخضرم الزبرقان[1] بن بدر التميميّ (ت 42هـ/665م):

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا *** منّا الملوك وفينا تنصب البيع

فلا ترانا إلى حي نفاخرهم *** إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع

الخاتمـــة: خلاصات واستنتاجات فتوصيات

(1) خلاصات: في ثلاث:

أ- توزّع الاشتغال في هذه الورقة على ثلاثة أهداف متواشجة متكاملة: كان مدار الهدف الأوّل على اختبار مدى استجابة قطعة شعريّة للمبحث القيميّ. وكان مدار الهدف الثاني على اختيار قصيدة تكمن طرافتها في جمع صاحبها بين السيف والقلم. وهذا مهمّ لكونه اجتماع هاتين الأداتين قلّ نظيره في العصر الحديث. وأمّا الهدف الثالث فتمثّل في احتفاء أحد المستعربين بها. ففي ترجمتها ضمان لرحلة المحاميل المعرفيّة القيميّة المضمّنة فيها والواسمة للهويّة الشرقيّة بشكل أو بآخر.

ب- ما يمكن تسجيله في تلخيص ما تقدّم هو أنّ موضوع القيمة موضوع الساعة، بل موضوع كلّ ساعة لاستحالة خلوّ وجود إنسانيّ منه، سواء في ذلك حديث الذات مع الذات وعنها، أو، كذلك، حديثها مع الآخر مفردا أو جمعا، معه وعنه. إنّه المشغل الذي تمتلئ به دوائر الجدل والنقاش صوتا وصورة، هاجسا وهاتفا. وليست قصيدة الأمير هذه واشتغال المستعرب أبريا فيها ترجمة سوى عيّنة ليس لنا، لقلّة زادنا المعرفيّ، أن ندّعي تفوّقها المطلق في بابها. ولكنّها تظلّ مادّة معرفيّة موفّرة لما يطمح البحث إليه من ضبط قيميّ في بعض وجوهه.

[1]– الزبرقان من أسماء القمر. قيل: سمّي به لفرط وسامته.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

ج– اتّجهت هذه الورقة إلى النظر في ما يفترض أن يتوفّر عليه نصّ شعريّ من قيم الفخر والعزّة والمجد أو الرضوخ والمذلّة والهوان. فقد كان قائله أميرا جزائريّا وقائدا يشهد له القاصي قبل الداني والخصم قبل الصاحب بأنّه أذاق المحتلّ الويلات وألحق به الهزائم. ولكنّه، أي الشاعر، لم يكن، زمن نشأة النصّ الشعريّ، سوى امرئ قيد الاعتقال في أرض غريبة. وكان السعي، من خلال هذه الورقة، إلى استدراج النصّ الأصليّ وكذا المترجم إلى المخبر الحضاريّ للتعرّف على المادّة القيميّة المتوفّرة، ومحاولة سبر أغوارها وتعقّب آثارها.

(2) **استنتاجات**: في ثلاث:

أ– تقاطع محاولتين قيميّتين: الأولى هي محاولة الأمير استعادة مركز الدائرة. وذلك من خلال خطّة تقوم على استبصار الآخر والتعرّف على ملامحه، كما هو لا كما نريد تصويره ومن ثمّ يكون رسم أبعاد صورته. تلك الأبعاد التي توظّف في مشروع بناء سبل السلام بدل الصدام. والثانية هي محاولة أبريبا ترحيل صورة أمّة إلى أدب أمّة أخرى. وذلك من خلال كشف الأمير رؤيته للآخر بأبعاده القيميّة. ومن ثمّ قد يكون ساهم في تفكيك صورة الشرق النمطيّة في أدبيّات الغرب، هذا من جهة، والتمييز بين صورة الغرب والغرب، وليسا واحدا. بل هما مختلفان. وما ذلك إلّا بهدف التنبيه إلى الفارق الجوهريّ بين الموضوع وما ارتسم منه في مرآة الذات.

ب– تضمّنت ترجمة أبريبا لرائيّة الأمير هذه جملة من التفاصيل التي لا تخرج عن وظيفتها في الاستدلال على رحلة النصّ الشعريّ العربيّ محمّلا بقيمه، من بيئته الثقافيّة العربيّة المغاربيّة، في زمن مخصوص من تاريخ المغارب، إلى بيئة مغايرة هي البيئة الثقافيّة الأوروبيّة الفرنسيّة، تحديدا. ومن هنا يمكننا القول إنّ رحلة النصّ هذه قد حقّقت تواصلا ثقافيّا وتفاعلا حضاريّا، وإن بدرجة ما، قصد المترجم ذلك أم لم يقصد. وهي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

رحلة مخصوصة إنّها رحلة المنظومة القيميّة العربيّة مثلما تمثّلها الأمير عبد القادر الجزائريّ وعبّر عنها في شعره تعبيرا إبداعيّا.

ج- يكشف تفكيك الخطاب الاستعماريّ، في مجال القيمة تحديدا، حقيقة هذا الخطاب المكرّسة لهيمنة الذات الاستعماريّة والمبرّرة لسلطتها والمتعاطية مع الآخر إقصاء وإلغاء. وهذا يمثّل معرفة ضروريّة لفتح منافذ التقبل عند القارئ الشرقيّ أو الغربيّ على حدّ سواء. غير أنّ الشاغل الأكاديميّ يظلّ مراوحا مكانه. وتظلّ القيمة، رغم أنّها معيار إجرائيّ تقديريّ، ورغم كونها مرشّحة لتأسيس سرديّتها العربيّة، بعيدة عن مشروع النمذجة.

(3) توصيات: في ثلاث:

أ- توجيه عناية الباحث العلميّ في العلوم الإنسانيّة المختلفة إلى دراسة ما به تنهض الشعوب في مجال القيم التربويّة خاصّة.

ب- التأشير على مواضع النقص في تكوين الباحثين، والتحسيس بوجوب اجتماع المشغل القيميّ والمشغل العلميّ المحض.

ج- توظيف هذا النوع من الدراسات في مجال التجسير الحضاريّ من خلال عقد شراكات بحثيّة تمثّلها الندوات الدوليّة والبعثات العلميّة.

قائمة في مصادر البحث ومراجعه

(دون اعتبار: ال — أبو –ابن)

1– باللسان العربيّ:

1- برونو، إيتيان، **الأمير عبد القادر الجزائريّ**، ترجمة: ميشيل خوري، دار عطيّة للنشر، لبنان–بيروت، 1997، ط1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

2- الجزائريّ، الأمير عبد القادر، **الديوان**، تحقيق: العربي دحّو، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط3/2007م، ط3.

3- شارل هنري، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة وتعليق : أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986.

4- السيوطيّ، جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى البابي الحلبي، سوريا، 1384هـ/1964م، ج1.

5- العقيقيّ، نجيب، **المستشرقون: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتّى اليوم**، دار المعارف، مصر، 1964، ط3.

6- الفيروزآبادي، مجد الدين، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسّسة الرسالة، ، 1426هـ/2005م، ط8.

7- قرفال، نجاة، **خطاب الاستعراب في تونس زمن الحماية: الخصائص والخلفيّات**، مجمع الأطرش، تونس، 2020.

8- قرفال، نجاة، **شخصيّة الأمير عبد القادر الجزائريّ في عيون المستعربين**، مجلّة تنوير للبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 11، سبتمبر 2019م.

9- ليوتار، جان فرانسوا، **الوضع ما بعد الحداثيّ**، ترجمة: أحمد حسّان، دار شرقيّات، القاهرة، 1994، ط1.

مجهول، الحاضرة، عدد 561، 22 أوت 1899، ص1.

10- ابن مسكويه، أحمد بن محمّد، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، المطبعة الحسينيّة، القاهرة، 1329هـ/1911م، ط1.

2- باللسان غير العربيّ:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-015
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 487–535 تاريخ النشر: 10–05–2022

11- Abribat, Jules, **Un morceau de poésie d'Abdelkader : Le séjour des villes est-il préférable à la vie nomade ?**, Revue Tunisienne, 7è Année, N° 26, Avril, 1900, p. 181.

12- Bruno, Etienne et Pouillon, François, **Abdelkader le magnanime**, Découvertes Gallimard, Paris, 2003.

13- Chaouati, Amel, **Les Algériennes du château d'Amboise**, La Cheminante, Paris, 2013.

14- Chavanne, Le Capitaine, **Historique du Services des Affaires Indigènes de Tunisie (1881-1930)**, Bourg, Imprimerie Victor Berthod, 1931, T2.

15- Lambert. Paul, **Dictionnaire illustré de la Tunisie : choses et gens de Tunisie**, C. Saliba Aîné, Editeur, librairie du Phénix, 17, avenue de France — Tunis, 1912.

16- Monchicourt, Charles , **De la nécessité d'adopter pour la Triade Algérie-Tunisie-Maroc un Nom propre d'ensemble**, Revue Africaine, n° 79, 1936.

17- Roches Léon, **Trente-Deux Ans A Travers L'islam (1832-1864)**, T1, Paris, Librairie De Firmin-Didot Et Cie, Imprimerie L'institut, Rue Jacob, 56, 1884.